

١٤٠٩٥٠

السنة الثالثة

العدد الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# المُسْلِمُونَ

مجلة إسلامية جامعة

تصدر مع غرة كل شهر عربي  
ستة عشر أعداد

صاحب الإصدار

ورئيس التحرير

سمير رمضان

الإدارة

٣٢ شارع النيل

بالروضة بالقاهرة

تليفون : ٢٤٤٥٥

الاشتراكات

١٠٠ عن سنة كاملة

٦٠ عن نصف سنة

للطلاب وجنود الجيش

٨٠ عن سنة كاملة

٤٠ عن نصف سنة

٢٥ عن ثلاثة أعداد

يضاف إليها أجرة

البريد خارج القطر

نوفمبر سنة ١٩٥٣

ربيع الأول سنة ١٣٧٣

## بين يدي العام الجديد

باسم الله وعلى بركته .

وفي نور رسالته المشرق الذي هدى هذه المجلة سبيلها في عامها الأولين ، وهو ذا يضيء  
مطالع عامها الجديد في العتمة الدامسة من كذب الحياة والناس .  
وفي ركب مبارك من مشاعر آلاف المسلمين في أنحاء دار الإسلام ، هم أسرة  
« المسلمون » التي احتضنت رسالتها من أول يوم ، والتقت على دعوتها لقاء دائماً  
زاخراً بالحياة والوعي . . .

باسم الله وعلى بركته ، وفي هذا النور ، وبين يدي هذا الركب المبارك — نخطو  
الخطوة الثالثة في طريقنا الطويل ، داعين الله وحده أن يحسن النية ويبارك القصد ،  
ويأخذ بيدنا إلى حيث يحب ويرضى .

\*\*\*

كانت « المسلمون » أملاً يداعب النفس ، وحاجة يحسها العاملون للإسلام  
في كل قطر ، وفكرة لم يزل ينضجها التأمل في أحوال المسلمين ، وفي بواكير  
نهضتهم النامية ، حتى أذن الله أن تصدر في أول فرصة مواتية ، ووراءها عناصر

١٤٠٩٥٠

السنة الثالثة

العدد الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُسْلِمُونَ

مجلة إسلامية جامعة

تصدر مع غرة كل شهر عربي

ستتها عشرة أعداد

الاشتراكات

١٠٠ عن سنة كاملة  
٦٠ عن نصف سنة  
للطلاب وجنود الجيش  
٨٠ عن سنة كاملة  
٤٠ عن نصف سنة  
٢٥ عن ثلاثة أعداد  
يضاف إليها أجرة  
البريد خارج القطر

صاحب الامتياز

وزئيس التحرير

سعيد رمضان

الإدارة

٣٢ شارع النيل

بالروضة بالقاهرة

تليفون : ٢٤٤٥٥

نوفمبر سنة ١٩٥٣

ربيع الأول سنة ١٣٧٣

بين يدي العام الجديد



باسم الله وعلى بركته .

وفي نور رسالته المشرق الذي هدى هذه المجلة سبيلها في عاميها الأولين ، وهو ذا يضيء

مطالع عامها الجديد في العتمة الدامسة من كذب الحياة والناس .

وفي ركب مبارك من مشاعر آلاف المسلمين في أنحاء دار الإسلام ، هم أسرة

« المسلمون » التي احتضنت رسالتها من أول يوم ، والتقت على دعوتها لقاء دائماً

زاخراً بالحياة والوعى . . .

باسم الله وعلى بركته ، وفي هذا النور ، وبين يدي هذا الركب المبارك — نخطو

الخطوة الثالثة في طريقنا الطويل ، داعين الله وحده أن يحسن النية ويبارك القصد ،

ويأخذ بيدنا إلى حيث يحب ويرضى .

\*\*\*

كانت « المسلمون » أملاً يداعب النفس ، وحاجة يحسها العاملون للإسلام

في كل قطر ، وفكرة لم يزل ينضجها التأمل في أحوال المسلمين ، وفي بواكير

نهضتهم النامية ، حتى أذن الله أن تصدر في أول فرصة مواتية ، ووراءها عناصر

ثلاثة تمكن لها : أمل ، وحاجة ، وفكرة ؛ ومن وراء ذلك كله سر الله الذي أسلنا له القياد ، وعولنا عليه في المبدأ والنهاية .

\*\*\*

وإنما أسميناها « المسلمون » ، وهو اسم وجدناه في أنفسنا ولم نتكلفه لها ، إعلانا عن الحقل الواسع الذي نؤمن بوحده : وحدته في آلامه وقضاياه ، وفي أمانة الله في عنقه مادام أهله ينتسبون إلى الإسلام . وكنا نعلم من يوم أسميناها كذلك أن النسبة إلى الإسلام لا تثبت شهادات الميلاد ، ولا يعينها العدد الضخم من مئات الملايين في الشرق والغرب ، ولكنها دعوى يجب أن يقوم برهانها في عقائد أصحابها وأخلاقهم ، وسائر أحوالهم ؛ وهي بغير ذلك نسبة ظالة للإسلام ، وحجة عليه لاله ، وكذبة يجب أن يبرأ منها . وسبيل ذلك الذي آخذناه هو أن نقدم « المسلمون » — وهي الصفة التي عرفنا أنفسنا بها ، وعادتنا قوى الدنيا من أجلها — عنوانا لما يجب أن نكون عليه ، وردًا للذين يفترون علينا الكذب ، فنحن المسلمين بالرغم من كل مانعنايه لا نزال ننطوي على أنضر المشاعر ، وأروع أسباب القوة والحياة ، وحسبك في ذلك أن تطوف بالعالم الإسلامي كله مدنه وقراه ، وتتجسس الحنين العميق إلى معاني الإسلام ، وشعور الندم على تفريط الماضي ، والأمل المشبوب الذي لم يطفى جذوته الحديد والنار ، والقلقل المتصلة التي تعلن عن حياة المسلمين تحت مطارق الفتن من كل لون ، وإزاء مؤامرات التاريخ الطويلة التي لم ترع فيهم إلا ولا ذمة !!

ثم إن « المسلمون » إعلان آخر عن رابطة أصيلة لا تعرف بين المسلم والمسلم حدودا من الدم أو اللغة أو اللون أو الأرض أو غير ذلك مما قطع وشأج الناس دون أساس من الهدى والحق ؛ وهي رابطة حفظت على المسلمين دينهم وكرامتهم حين حافظوا عليها ، ولم يكن يجرؤ عاد على أن يمس من جسدكم الواحد عضوا بأذى ؛ ولم تكن هذه الرابطة بين المسلمين إلا خيرا للناس كافة : فهي لم تحتكر العدل والقيم الفاضلة لأصحابها ، ولكنها وقفت بكل قواها لتنتصر للعدل ولو من نفسها : « اعدلوا ولو كان ذا قربى » . ولكن أخوة الإسلام هذه عانت كثيرا من عصبية طارئة على أقطاره ، ووطنية وضمت بين المسلمين حدودا غير حدود الله ، وأخذتهم من جانب صادق في أنفسهم : هو حب الإنسان لوطنه وقومه ، إلى حيث أنستهم



مواريث دينهم ، وأفقدتهم الجندية للحق الذي لا يعرف الحدود ، وجعلت قضيتهم القديمة مع أعدائهم العتاة قضايا متفرقة ، فغلبوا فيها جميعا ، وصدق فيهم نذير الله : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

إن إبقاء هذه الرابطة الأصلية بين المسلمين ، وهي والحمد لله مركوزة في طواياهم ، جزء من رسالة « المسلمون » دأبت على تحقيقه من عددها الأول ، وسبيلها في ذلك تنفيذ معاني الإسلام في أنفسهم ورؤوسهم ، وعرض حقائق التاريخ التي جهلوها أو نسوها ، ومطاردة الأوهام التي لم يمكن لها إلا الغفلة عن الله وسوء فهم الإسلام .

\*\*\*

وتم أمر آخر جليل ، هو أن يكون بين وحدات الحركة الإسلامية في مختلف الأقطار صلة دائمة تتجاوب فيها أرواحها وعقولها ، وتتبادل تجاربها بالقدر المتاح ، وذلك أمر إن لم يتم في هذا الطور من تاريخنا الحديث ، فنخشى أن يستعصى فيما بعد ، فإن الوحدة الفكرية في العصر المريد الذي نعيش فيه لا بد أن تستقر أصولها الموحدة في الأذهان اليانعة البريئة وهي بعد على براءتها ، قبل أن تدلف إليها الأفكار الخاطئة من حيث لا تدري ؛ وما أكره مداخل السوء في أفكارنا التي اختلطت ثقافتها ، وقام بينها وبين كتاب الله وسنة رسوله حجاب أليم من مواريث متباينة ! إن إيجاد هذه الصلة بين وحدات الحركة الإسلامية جزء آخر من رسالة « المسلمون » وسبيلها في تحقيقه أن تلتزم موازين الكتاب والسنة في تناول كل مسألة ، وألا تتورط في الخلافات التي لا فائدة منها في هذه المرحلة من تاريخ المسلمين ، وأن تضم في أسرة تحريرها قادة الحركة الإسلامية في كل قطر ، ونرجو أن تكون قد قطعت في ذلك شوطا ، ولعلها تكون أعون على تحقيقه في عامها الجديد .

\*\*\*

والدعوة الإسلامية تشق اليوم طريقها في عصر تقدم فيه العلم المادي ، وتغيرت فيه أساليب الكلام والكتابة ، وتطورت طرائق محاربة الإسلام إلى وسائل أشد خبثاً وأمعن فتكا ، تتخذ ثوب العلم ، وتستغل في شبابنا المثقف جهله بالإسلام ، ومركب النقص فيه إزاء ما يشاهده من ضخامة الحضارة المادية لتثير في رؤوسه الشك وتقطعه عملياً عن الإسلام ، ولا ينكر أحد أنها نجحت في ذلك إلى حد كبير !

ونحن مسئولون أن نواجه هذه الحرب بأسلحتها ، وأن رد على دعوى العلم بالعلم ، وأن نستعمل أسلوب العصر في مخاطبة أهله ، وأن نقدم للمشكلات المستجدة حلولها التي تحقق بها الشريعة مصالح الناس ، وهي مسئولية هائلة سيحاسب الله عنها كل القادرين على الاضطلاع بها ، سواء أكانوا ممن علموا شئون الدين واغفلوا شئون الدنيا ، أو كانوا ممن علموا شئون الدنيا ولم يبالوا بما يطالب به الدين ؛ كلا الفريقين مسئول لأن عقله أمانة الله لديه ، ولأن الدين والدنيا في الإسلام وحدة يجب أن يحكمها أمر الله : « إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا » !

ولقد حرصت « المسلمون » على أن تقوم بنصيبها في ذلك ، وتأثر بهذا أسلوبها وبحوثها ، وقدمت لقراءها في عاميها الأولين حلقات من دراسات ممتازة في الاجتماع والاقتصاد والقانون والسياسة ، وفي معاني الكتاب والسنة وتحليل تاريخ الإسلام الحديث ، وهي ماضية بإذن الله في ذلك ، مستعينة بكل ما يتيسر لها من أسباب الكمال . على أنه لم يفت « المسلمون » وهي تجتهد هذا الزاد العلمى أن تعنى بالجانب الأصيل في كيان الإنسان ، وأن تركز مشاعره الربانية التي لا ينفع بغيرها علم ، والتي جعلها الله قبس النور في صدره ، وأقام منها الوازع القوى على معاني الخير ، وأدار عليها دورة الحياة على هذه الأرض : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » و « المسلمون » حين تعنى بذلك تعتبره الأساس الأول لحضارة الإسلام . . الأساس الذي أغفلته الحضارة المادية فكانت بعلمها وبالأعلى الناس ودماراً للمثل العليا في الفرد والمجتمع !

\*\*\*

بقى أن نقول إن رسالة « المسلمون » الضخمة لا تتحقق إلا إذا تعاوننا جميعاً على تحقيقها . ومن حقنا عليك أيها الأخ القارىء أن تمد إلينا يدك ، وأن نستشعر دائماً صحبتك ، وأن تمدنا دائماً برأيك ونصيحتك ، وأن تكون لسان صدق لدعوة الإسلام : في نفسك وأمتك .

والله المسئول أن يتقبل العمل الصالح ، وعليه وحده قصد السبيل .

مدير

# هَذَا الْقُرْآنُ

« إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ »

لفضيلة الأستاذ حسن الهضيبي

المرشد العام للاخوان المسلمين

« مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » (الآية ٢ سورة فاطر)

\*\*\*

كانت السيارة تطوى بنا الأرض ونحن ننقل بين قرى الصعيد لزيارة شعب الإخوان المسلمين . وكنا نتبادل الملاحظات على سير دعوة الإسلام واستجابة الناس لها، ووددنا لو أن الناس كانوا في ذلك سواء فاستجابوا لها وعلموا أن أكثرهم لم يكونوا مسلمين إلا بالاسم، وابتغوا إلى الله سبيل الهداية، وكانوا ربابيين في كل شيء ... إلى آخر ما يدور عليه الحديث أثناء السفر بين قرية وأخرى في هذه الشئون . وتلا أحدنا هذه الآية الكريمة : « ما يفتح الله للناس من رحمة ... » إلى آخرها . وجملت أديرها في ذهني ، واعتزمت أن أجعلها موضوعاً « للمسلمون » ولكن الحركة المستمرة أنستني آنأً ، فلم تدع لي أن أكتب آنأً آخر ، حتى كانت هذه الأيام التي انصدع القلب فيها مرات ومرات لقول بعض الناس إننا في العصر المكي الذي ليس فيه تشريع وسيأتي التشريع عندما يأتي العهد المدني وإن قول الله تعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » خاص باليهود .

وقرأت رسالة من الخارج لكاتب يعتبر نفسه من كبار الكتاب ، ذكر فيها أنه كان في سهرة أقامها أحد الألمان فأثارت سيدة موضوع نظم الحكم ، ودافع فيه الشيوعي عن الشيوعية والديمقراطي عن الديمقراطية والدكتاتوري عن الدكتاتورية ، وجاء دور رجل الدين فقال : إن العالم لا بد أن يرجع إلى الدين ويعترف به ، ولقد كانت الكنيسة الكاثوليكية مسيطرة — وأظنها لا تزال — على السياسة الدولية . وهنا تدخل

الكاتب المسلم : لكن هل كان حكم الكنيسة عادلاً على إطلاقه أم أن التاريخ قد ضجّ من ظلم رجال الدين ؟ فقال القس : الدين برىء والرجال وخدمهم المسئولون ، فلا تخلط بين مسئولية الدين ومسئولية الرجال . وعاد الكاتب المسلم يقول : وكيف نستطيع أن نوفق بين الأسس الدينية وأسس الحكم الوضعية ؟ فقال القس : إن في وسع المتحررين من رجال الدين أن يوفقوا بين الروحانيات والماديات ، وإن دينكم الإسلامى كان دائماً دين سياسة وحكم ، وقد نجح في هذا نجاحاً مشهوداً فكيف تعارض ؟ انتهى الاجتماع على لا شيء ، وقال الكاتب المسلم : فهل ياترى يتمخض العصر الحديث عن مذهب خامس يجمع محاسن كل هذه المذاهب ويتفادى مساوئها ؟ .. ثم يجيب : هيهات !!

فهذا مسلم يطوع لنفسه أن يقول ما يستفاد منه أننا كلما مضينا في التاريخ حقبة ، وفتر من فتر عن دينه انصرفنا عن الدين وكنا في العصر المكي الذى لا تشريع فيه ، ويبقى هذا العصر المكي زمناً طويلاً حتى يبلغ الأجيال ، وقد يقصر ، وحينئذ يأتى العصر المدنى فنأخذ بما فيه من تشريع — وهذا يستتبع أن التشريع الذى نأخذ به من الشريعة الإسلامية ليس واجباً أيضاً — فالزواج والطلاق والمدة والنفقة والنسب والميراث والهبة والوصية إلى غير ذلك مما نأخذ به من أحكام القرآن والسنة يمكن أن يتجاوز عنه ونأخذ مثل هذه الأحكام مثلاً من القانون الإنجليزى أو قوانين الدول والأديان الأخرى ؛ وكأنه يزكى هذه الفكرة بأن قول الله تعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » كما قال الطبرى ، خاص باليهود . وقد ذكر الطبرى آراء الفقهاء وذكر أن الآية خاصة باليهود ولكنه قال إنها حكم المؤمنين . والقرآن مملوء بالآيات التى تفيد وجوب الحكم بما أنزل الله ، ولكن بعض الناس لا يمجهم إلا أن يأخذوا ببعض قول الطبرى دون بعضه ودون أقوال سائر المفسرين ودون آيات الله البينات الأخرى .

وهذا الكاتب المسلم يقول له القس الكاثوليكي : وإن دينكم الإسلامى كان دائماً دين سياسة وحكم وقد نجح في هذا نجاحاً مشهوداً فكيف تعارض ؟ ! ويأبى الكاتب المسلم إلا أن ينسب للإسلام عيوباً فيتجرق شوقاً إلى أن يتمخض العصر الحديث عن



مذهب خامس يجمع محاسن هذه المذاهب ويتفادى مساوئها ولكنه يقول : هيهات !  
فستبقى هذه المذاهب وفيها الإسلام بحسناتها وسيئاتها ....!

ليس من غرضي هنا أن أقدم الدليل على خطأ هؤلاء الناس ولا أن أرشدهم إلى مواضع الصواب . فأما الذي يتحدث بما جاء في تفسير الطبري فلا شك أنه يعلم من أمر الدين ما أعلم في هذه المسائل ولكنه اختار لنفسه أن يتكلم بمانكلم به إرضاء للناس ، وليس من الحق أن ننشد مرضاة أحد بغضب الله مهما تكن المصلحة ومهما يكن الخوف ؛ ومن فعل ذلك فقد عبد الهوى والله تعالى يقول : « أفأريت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون » ! والرسول يقول : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » والدين بعد ليس تشريعاً فقط وإنما هو تطهير و تزكية .

وأما الآخر فإنه يجهل أحكام الإسلام جهلاً تاماً وإلا فإننا نتساءل ما هو الحكم الذي يتعارض فيه الإسلام مع محاسن المدنية الحديثة إن صح أن المدنية تكون حجة على الإسلام ، وما هي المساوئ التي يكتمها الدين الإسلامي وتمنع من الأخذ به في الحكم والسياسة ؟

ألم يجعل الإسلام الحكم لله وحده وأن العباد مأمورون بالألأ يحكموا بأهوائهم وشهواتهم ؟ !

ألم يجعل الحكم منتخباً ( بأى شكل كان ) ، ولم يسلم بأن يكون الحكم بالوراثة ، وأن يكون تعيين الموظفين مبنياً على الكفاية ؟ ! يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من أمر على عشرة من المسلمين واحداً منهم وهو يعلم أن في العشرة من هو خير منه فقد خان الله وخان رسول الله وخان جماعة المسلمين » .

ألم يجعل المال لله وأن العباد فيه مستخلفون لا يجوز لأحد أن ينفقه في غير ما أحل الله ، وكان المال الذي يجبي من الخلق ويصير إلى يد الحاكم ليس له وإنما هو لله يصرفه في شئون عباده ومنفعتهم فلا يحق له أن يصرف منه قرشاً في غير هذا الوجه ؟ !



ألم يجعل للفقراء حقاً في أموال الأغنياء يجعلهم يعيشون كما يعيش بنو الإنسان ولا يحيون حياة الحيوان؟!

ألم يجعل التعليم إجبارياً للرجل والمرأة على السواء ، وجعل الحكمة ضالة المؤمن يتلفها أنى وجدها؟!

ألم يجعل دماء الناس وأموالهم وأعراضهم عليهم حراما؟!

نعم إن في الإسلام مساوئ في نظر هؤلاء الناس : إنه لا يبيح الخمر ، ولا يبيح الزنا ، ولا يبيح المراقص وانتهاك الحرمات ، ولا يسمح بأن ينادى بعض الكتاب بإنشاء « لوكاندات وكازينوهات » تؤتى فيها الموبقات ويلعب فيها القمار إكثاراً للمال الحرام في يد المسلمين . ولا يسمح بأن يبدو النساء عرايا في الطرقات ولا على « البلاجات » ولا أن يختلطن بالرجال اختلاطاً في غير حدوده .

هذه وأمثالها مما يضايق الناس من الإسلام هي الميوب التي ترهدهم في الإسلام من غير أن يدرسوه ويعرفوه .

فيارب لم لم تفتح لهؤلاء الناس من رحمتك ، وتبصرهم بشريعتك؟! إني أومن بقولك : « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها » فاللهم افتح لهم هذه الرحمة فلا رحمة أكبر من معرفة دينك ولزوم صراطك المستقيم : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » .

### اعتذار

يعتذر فضيلة أستاذنا البهي الخولي عن كتابة قصص القرآن هذا العدد ، ويمد إخوته القراء أن يوالى ذلك في الأعداد القادمة بمشيئة الله تعالى .  
التحرير

# الجامعة الإسلامية

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

(٢)

١ - ابتدأنا ذلك البحث ، فمعرض لنا في أثناء دراسته وعرضه الحج ، فتكلمنا فيه ؛ إذ الحج هو المؤتمر الإسلامي ، وشعيرة الإسلام الكبرى الدالة على وحدته ، الجامع لتفرقه ، الذي يشعر المسلمين كل عام أنهم أمة واحدة ، وأنهم إذا فرقتهم الأرض أو العصبيات ، أو الأهواء الجامحة عند الكبراء الذين لم تشرب قلوبهم بحبة الإسلام ، فإن الحج مذكّرٌ لهم بأنهم إخوة ، كما تذكّرهم الصلاة - إن اعتبروا معناها - أنهم جماعة موحدة القبلة ، فيجب أن توحد هم الغاية . وقد جمعهم في هذه الأيام الآلام ، فحق أن تجمعهم الآمال .

٢ - وإنا إذ نعاود القول في الجامعة الإسلامية تشرق علينا ذكرى الرسول بلألائها ، وتملاً نفوسنا ذكرى الميلاد المحمدي بعبيرها ، فنذكر محمداً الذي جمع العرب ، ولمّ شعبتهم ، وجعل منهم جماعة موحدة الغاية ، بعد أن توزعتهم الصحراء ، وتأنست بينهم إحنُ العصبية ، والدعاوى الجاهلية ، ثم نذكر صوته وقد عمت دعوته ، وسادت هدايته ينادي بصوت رهيب قوى ، تتجاوب أصدائه في كل جوانب الأرض ، وتردده الأجيال نوراً مشرقاً في قلب كل من أشرق الإسلام في قلبه : « كل-كم لآدم ، وآدم من تراب » وينادي أيضاً : « ليس مِنّا مَنْ دعا إلى عصبية » ويصيح في العالم كله صيحة الحق بقول الحق : « يأيتها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

نذكر ذلك كله ، ونذكر عموم الرسالة المحمدية ، وشمول رحمتها للناس أجمعين : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً » « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ،

وفي هذه الرسالة نشر للسلام في ربوع الأرض : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، إنه لكم عدو مبين » .

نذكر كل ذلك عند ذكرى ميلاد الرسول الكريم صلى الله عليه ، ونذكر معه أنه لم يقتصر في دعوته الجامعة إلى محو العصبية المفرقة على القول ، بل أردفه بالعمل ، فأخى بين المهاجرين والأنصار ، وبين الفارسي والقرشي ، وبين الأنصاري والحبشي ؛ فالتقى الجميع عند مآدبة القرآن ، وحكم الإسلام سلمان الفارسي ، وعثمان القرشي ، وبلال الحبشي ، وفارس الإسلام علي ؛ فكان ذلك الجمع المانع من كل فرقة شعار الإسلام الخالد إلى يوم القيامة ، وكان ذلك التأليف النفسي الحجة القائمة على كل من يفرق الجماعة الإسلامية بالإقليمية أو الجنسية ؛ فكل ذلك من عصبية الجاهلية التي تفرق المسلمين ، وتمكن من رقابهم أعداء الدين .

٣ - ولقد كانت حياة الرسول نفسها دعوة قوية إلى محو الفروق القبلية ، فمع أنه القرشي الذي كان من أوسط قريش نسباً ، وبيته من ذؤابة العرب ومكان الرأس والرياسة فيهم ، مع ذلك كله فتح قلبه لكل إنسان من غير نظر إلى قبيلة ، واحتسب نفسه نسبياً وقريباً لكل تقى ؛ وأقرب الناس به نسباً أنقاهم ؛ وأكثرهم به رحماً أقواهم إيماناً وأكثرهم إحساناً ، فهو يقول في الأنصار من الأوس والخزرج : « لو سلك الناس شعباً وسلك الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار ؛ والذي نفسي بيده لولا الهجرة لكنت امرأاً من الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار » تلك مقالة قالها ، وأثرت فيهم فبكوا حتى أخضلوا لحاهم .

٤ - أخص دعوة الرسول عليه السلام إذن تكوين جماعة فاضلة تهدي الناس جميعاً إلى أقوم مناهج الحياة الكريمة وأفضل السلوك القويم ؛ ولذا قال تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » وحبل الله كما فسر النبي صلى الله عليه وسلم وهو مبين الكتاب وموضح حكمته « هو كتاب الله تعالى » فالإسلام في غايته هو تكوين مدنية فاضلة تحتفي فيها العنصرية ، وتحتفي فيها الطبقات ، ويكون الإنسان فيها أخا الإنسان ، فلا أنساب بينهم ، ولا إقليمية مفرقة . وإذا كان الإسلام دين التوحيد الخالص الذي تتجه فيه النفس الإنسانية إلى عبادة الله وحده ، لا شريك

له في العبادة ، كما لا شريك له في الخلق والتكوين والتدبير والسلطان ، إذا كان الإسلام دين التوحيد على ذلك النحو ، فهو أيضاً دين الوحدة الجامعة التي لا تفرقها عصبية ولا جنسية ولا إقليمية ، فهو دين الوحدة بين المؤمنين ، ثم هو دين الوحدة الإنسانية إن ساد السلم ، ولم يكن اعتداء من كافر على مؤمن ، وهو بهذا دين الكرامة الإنسانية العالية ؛ ولذا قال تعالى : « ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » .

٥ - كان المسلمون جميعاً ، بمقتضى هذا المنطق القرآني والهدى الحمدي ، أمة واحدة ، وقد اجتمعوا من العرب والفرس ، والروم والحبش كما ذكرنا ، فكان صهيب الرومي مع سلمان الفارسي ، وهما مع بلال الحبشي وأبي بكر القرشي ، فكانوا جميعاً أبناء الإسلام . وروى أن بعضاً من المسلمين العرب تفاخروا بأنسابهم في حضرة سلمان الفارسي وهو صامت لا يتكلم ، فقالوا له : ابن من أنت ؟ فقال : أنا ابن الإسلام ، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فبكى وقال : وأنا ابن الإسلام وكررها ثلاثاً . رضى الله عنه ، وجزاه عن الإسلام خيراً . فالوحدة الإسلامية جزء من حقيقة الإسلام ، فإذا كان أول ركن في الإسلام الوحدانية في العبادة والخلق والخضوع لله سبحانه وتعالى ، فوحدة المؤمنين الفاضلة من أركانه ، وغاية سامية لهذا الدين الحكيم ، فهو دين الوحدانية ، ودين الوحدة الجامعة التي لا فرقة فيها .

٦ - تلك معانٍ رددناها في الماضي ، والآن نريد أن نتكلم في وسائل تكوين الوحدة في هذا العصر بشكل يناسب روحه ويتفق مع النسق المعروف الآن في تكوين الأمة من الجماعات المتفرقة في الأمصار والأقطار . ولكن قبل أن نخوض في ذلك نناقش بعض الاعتراضات التي ذكرها لنا قراء لما كتبنا أولاً . فقد اعترض أولئك القراء على فكرة قيام الدولة على الدين ، كما لم يسوغوا قيامها على آراء اجتماعية ، فقد قالوا إن الآراء كالأديان لا يمكن أن تتكون بها جماعة موحدة الغاية والهدف مشتركة في النزوع والأغراض والمقاصد ، وإن قانون التجمع الذي هو أساس قيام الدول والجماعات يتقاضى وحدة المكان ، ثم وحدة الأرومة ، ووحدة اللغة في الأمة الواحدة ؛ فلا يمكن إذن أن تقوم دولة مع اختلاف اللغات ، ومع تباعد الأقطار ،



ومع تبين السلائل ذلك التباين التام . ألم تر إلى أمريكا مع محاولتها التأليف بين عناصرها نجد التباين بين السلائل منع الوحدة فيها ، فلم يمكن اندماج الزوج فيها مع البيض ، وإن قيام البلشفية بالاشتراك في المذهب لا يعتبر حجة ؛ لأنه لم تتكون منها دولة واحدة ، بل هي دول ؛ فالصين الشيوعية دولة قائمة بذاتها ، وكل دولة من الشيوعيين قائمة بذاتها ، مع تقارب الشيوعية الأوروبية من روسيا في السلالة لأنها جميعا من العنصر السلافي ، واللغات فيها متقاربة ، بل إنها جميعاً تنتهى إلى أصل واحد ؛ ولكن المكان مختلف ، فلم يوجد التجمع في المكان الذى هو ركن من أركان الدولة .

٧ -- وإنا نجيب عن ذلك بجوابين :

« أحدهما » أن دولاً قامت من غير أن تتحد في الأرومه واللغة فتكونت منها دولة موحدة في الآمال ، ونظم الحكم العامة ، والسياسية العامة والاقتصاد ، مع أنها مختلفة السلائل ، مختلفة اللغات في الأصل ؛ فكان المكان وحده هو الجامع ، وتلك هي الولايات المتحدة الأمريكية التى ضربوها لنا مثلاً ، وهى التى تتحكم الآن في العالم سياسياً واقتصادياً ، وتحاول أن تتحكم فيه اجتماعياً ، بما تفرضه على العالم من آراء في المؤسسات الاجتماعية الدولية ، فكان تكونها متحققاً من غير اتحاد السلالة واللغة ، وهما عنصرا ن قد ادعى أنها ركنان أساسيان في وجود الدولة الموحدة ، وكان تخلفهما في تكوين تلك الدولة الكبيرة الموحدة في السياسة والاقتصاد والاجتماع دليلاً على بطلان الدعوى في أنهما ضروريان . ثم إن اتحاد المكان لم يكن المكون أيضاً بدليل أنه وجد في الزوج الأمريكان ، ومع ذلك لم يتم التآلف بينهم وبين غيرهم من عناصر هذه الدولة ؛ حتى اضطروهم اضطهاد البيض لهم إلى أن يهجروا أمريكا إلى أفريقيا ، وشعارهم : حب الحرية جاء بنا إلى هنا .

« ثانيهما » أن قيام الدولة على أساس العنصرية إنما هو أثر من آثار الأثرة المتناحرة في الإنسان ؛ ذلك لأن العنصرية تفرض دائماً تفضيل عنصر على عنصر ، وهى شكل من أشكال التجمع الحيوانى إذ تجتمع فصيلة من الفصائل تتحيز مكاناً تغالب عنه الآخرين ؛ ولذا كانت العنصرية هى السبب في كثير من الحروب ، وسببها

في كثير من الظلم الإنساني القائم في هذا العالم ، وإنك ترى تلك العنصرية مسيطرة على الأمم المستعمرة التي تفرض سلطانها على غيرها بدعوى أنه من الأمم الملونة ؛ وأن الدم النقي لا يسرى إلا في البشرة البيضاء أو الشقراء .

وإن ذلك قد أدى بلا شك ، إلى تلك الولايات والريازا التي تن تحت أعبائها الإنسانية وترجو الخلاص منها ولات حين مناص ، وكلما تجمعت جماعات الدول القائمة على ذلك الأساس لدفع ويلات الحروب المفضية عن تلك الإنسانية المذبذبة سرعان ما تغلب عليها العنصرية الظالمة ، فتتجمع لتأخذ في أسباب حرب جديدة لا لرفع الإنسان من كبوة الحرب السابقة .

٨ — هذان جوابان ، على أننا لا نطالب بقيام دولة إسلامية بمعنى حكومة واحدة إسلامية للجماعات الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ، بل نطالب بقيام وحدة إسلامية ، والوحدة أعم من الدولة الإسلامية ؛ لأن الوحدة قد تتحقق مع تعدد الدولة والحكومات الإسلامية في شكل اتحاد جامع ، أو جامعة تلم المتفرق من أمورنا مع بقاء كل حكومة قائمة كما هي ، فليس الغرض من إيجاد الجامعة الإسلامية التي طالب بها الدين وحدة الدولة ، بل الغرض وحدة الجماعات الإسلامية ، أو إن شئت فقل وحدة الدول الإسلامية سياسياً وثقافياً واقتصادياً ؛ وأن تتلاقى القلوب المؤمنة على محبة من الله ورضوان ؛ فالغاية تحقق الإخوة الإسلامية ، وأن يكون المسلم في عون أخيه المسلم أفراداً وجماعات ، سواء أكان العون حربياً أم كان اقتصادياً أو علمياً أو ثقافياً ، وأن تتحد الأقطار أو تتقارب حتى يتحقق التعاون ، ولا تكون محازبات من سياسة أو غيرها تحول دون التعاون بين المؤمنين ، إجابة لأمر الله الكريم : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » .

٩ — وقد قال لي قائل إن قيام اتحاد على أساس من الدين قد جُرب في الماضي يوم كانت الكنيسة تعطى حق تولية الملوك وعزلهم ، وتمنحهم سلطة قدسية تفرض على الشعوب فرضاً ؛ بذلك استرق الملوك رعاياهم باسم تلك القدسية الممنوحة ، أو تلك التولية المبيحة ، فلا نعيد تلك التجربة ، والماضي نور الحاضر ، فلنقبس من نوره ما ينير لنا السبيل .

تلك كلمات لها موضع في أوروبا أو أمريكا ، ولكن ليس لها موضع بين المسلمين ؛ ذلك لأنه ليس في الإسلام طائفة لها سلطة منح التولية ومنعها غير الجماعة الإسلامية نفسها ؛ فالأمة وحدها هي التي تولى وت عزل بمقتضى حكم الشورى المقرر في الإسلام بقوله تعالى : « وأمرهم شورى بينهم » والشورى الحق توجب أن يكون ولى الأمر قد ولّته الجماعة نفسها ، وارتضته حاكما لها ، وبايعته على الطاعة فى المنشط والمكره من جانبها ، وعلى العدل وإقامة حقوق الله والعباد على أكمل وجه من جانبها ، وتوجب أن يكون مرجعه الأول والأخير هو الجماعة نفسها ، ممثلة فى أهل الشورى منها ، وهم الذين اختيروا لذلك بمقتضى اختيار الأمة أولا وبالذات ، أو بمقتضى ما أوتوا من علم فى الدين وشئون الحياة وتجارب السياسة ، وخبرة فى الاقتصاد والاجتماع وأحوال الجماعات .

وليس لأحد فى الإسلام أن يدعى أنه ذو سلطة قدسية ممنوحة تفرض على غيره فرضا ويؤخذ بها قسرا ، فقد انقطع الوحي بانتقال محمد إلى الرفيق الأعلى ، ولم يبق للمسلمين إلا ما ترك من كتاب الله هو الحجة الدائمة إلى يوم القيامة ، والسنة النبوية الشريفة ؛ وفيهما المحجة البيضاء التى لا يضل سالكها قط . ومادعته بعض الطوائف الإسلامية من أن هناك وصيا أوصى إليه بالخلافة النبوية ، وأنه بهذا له قدسية الولاية لم يستمع المسلمون إليها ، ولم يجدوا فى كتاب الله وسنة رسوله نص صريح أو مشير إليها ؛ ولم يبق من أنصار هذه الفكرة إلا من يذكرونها من غير أن يعملوا بها ، وقد قامت الخلافة الإسلامية الحق على أساس من الاختيار والمبايعة الكاملة .

فإذا كانت الجامعة الدينية لم تتكامل فى أوروبا لهذه المعانى ، فأسباب النقصان ليست عند المسلمين ، وإنما عند المسلمين نقيضها ، وعلى ذلك تكون موجبات الجامعة موجودة ، وموانعها زائلة ، فلم يبق إلا أن تتحقق بحكم المنطق المستقيم ، والفكر السليم

وسنفصل ذلك — بقدر ما نعلم — فى المقال التالى إن شاء الله تعالى ؛ وعندئذ نعتبر بقول الله تعالى : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » .

# نظام رباني

للأستاذ سيد قطب

إن الخاصية الرئيسية التي تفرد بها النظام الاجتماعي الإسلامي من سائر النظم الاجتماعية التي عرفتها البشرية قبل الإسلام وبعده ، هي أنه نظام رباني ، وأنها نظم وضعية . ومن هذه الخاصية ننبع كل الخصائص التي تحدد طبيعة هذا النظام .

ولقد أشرنا إلى هذه الخاصية عند الكلام عن « طبيعة المجتمع الإسلامي »<sup>(١)</sup> فالآن نفصل القول فيها ..

إن النظم الاجتماعية الوضعية من صنع المجتمع ذاته ؛ سواء عن طريق فلسفة معينة يبتدعها أفراد ، ثم تعنقها الجماعة وتتكيف بها ، وتضعها موضع التطبيق العملي في الحياة كالمادية الجدلية ، التي بنيت عليها الماركسية ، ثم النظام الاجتماعي الذي تأخذ به روسيا الآن والدول التي تدور في فلكها .. أو عن طريق تطورات واقعية في حياة المجتمع ، تدفع به عملياً إلى أوضاع اجتماعية ونظم اقتصادية وسياسية ، وذلك كما وقع في أوروبا عند تحولها من نظام الإقطاع إلى النظام الرأسمالي ، تحت ضغط التحولات الواقعية في حياة الجماعة .. وإن كان الغالب أن تتفاعل التحولات الواقعية مع الفلسفات النظرية ، وتؤثر فيها وتتأثر بها ، حتى يتم التطور الاجتماعي إلى نظام بعد نظام . وفي جميع الحالات نستطيع أن نقول : إن النظم الاجتماعية الوضعية كانت من صنع المجتمع ذاته . على أي من الاعتبارات التي أسلفنا .

فأما المجتمع الإسلامي فلم يسلك هذا الطريق ؛ لأنه برز إلى الوجود نتيجة نظام رباني ، قائم على العقيدة الإسلامية ، والشريعة القائمة على هذه العقيدة ، فكان المجتمع الإسلامي بكل مقوماته وخصائصه انبثاقاً ذاتياً من هذه العقيدة ومن تلك الشريعة ؛



التي ليس للبشر فيها من عمل إلا تلقيها ، والتكيف بها ، والتقيد بقالبها ، والنمو في حدودها . ومن ثم فهو نتاج العقيدة والشريعة الربانيتين ، وهو على هذا الاعتبار نظام رباني .

والله سبحانه وتعالى يقول في الكتاب الكريم : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » . وهذا التعبير « أخرجت » يدل دلالة واضحة على حقيقة نشأة هذه الأمة ، وحقيقة النظام الذي يقوم عليه وجودها . فهي أمة مخرجة إخراجاً ، وفق نموذج معين ، يحققه نظام معين . وهي لم تخرج نفسها وفق نموذج من تصوراتها العقلية ، أو ضرورتها الواقعية . إنما وضع لها نظامها من لدن خالقها ؛ وأخرجت للناس على وفقه إخراجاً ربانياً .

وقبل أن ننتقل إلى تتبع بعض الآثار التفصيلية لتلك الخاصية الأساسية ، في نظام المجتمع الإسلامي ، نحب أن نؤكد مبدأ هاماً يترتب على تلك الخاصية :

إن النظام الاجتماعي الإسلامي ، وقد انبثق من العقيدة الإسلامية ، وتكيف وجوده بالشريعة الإسلامية ، يجب أن يظل دائماً خاضعاً في نموه وتجده للأصل الذي انبثق منه ، وللشريعة التي كيفت وجوده . يجب أن تكون الشريعة الإسلامية هي المسيطرة على كل تطور في نظام المجتمع الإسلامي ، وألا يترخص هذا النظام في اتجاه من اتجاهاته الكلية أو الجزئية خضوعاً لأوضاع أجنبية عن طبيعته ، تضغط عليه من الخارج ، بينما هو يملك تلبية جميع الحاجات المتجددة في حدود قانونه هو ، وحسب اتجاهه الذاتي . وقد تضمن في صلبه طريقة مواجهة كل حاجة وكل ضرورة ؛ وطريقة تقدير الضرورات الواقعية ، التي لم يدع تقديرها للبشر جزافاً ، إنما نص على بعضها صراحة ، وحدد طرق القياس على ما نص عليه ، ليظل تقدير الضرورات والحاجات محكوماً بقانونه الذاتي .

إن هذا النظام دقيق في تكوينه ، ومتكامل في مجموعه ، وكل صغيرة وكبيرة فيه متناسقة بعضها مع بعض ، وفق القاعدة التي يقوم عليها . وهو من الدقة بحيث تتغير طبيعته بدخول أي عنصر غريب عن هذه الطبيعة في تركيبه . هو نظام غير قابل للترقيع . غير قابل لأن نستعير له « قطع غيار » من أي نظام وضعي ، لأن الاعتقاد

فيه والعبادة ، والسلوك والمعاملة كلها مترابطة ، وكلها متناسقة ، وكلها متفاعلة ، وكلها نابعة من عقيدة واحدة ، ذات أهداف مرسومة . وهي تنشيء آثارها الاجتماعية وفق تركيبها الذاتي . فلا تصلح معها آثار اجتماعية أخرى ، ناشئة من فلسفات أو أوضاع أجنبية ، مهما تكن في ظاهرها بعيدة عن موضوع العقيدة ، كالمسائل الاقتصادية والمالية مثلا . وسنرى بعد قليل أن كل جزئية من جزئيات هذا النظام مهما بدت بعيدة عن العقيدة ، مرتبطة ارتباطاً وثيقاً ، ومتأثرة تأثراً عميقاً بتلك العقيدة . ومع هذا فإن الإسلام لا يحرم الانتفاع بالتجارب البشرية في كل ما لا يمس أصلاً من أصول الشريعة . فلا حرج في الانتفاع بتجارب البشر في تحديد الحاجات الاجتماعية المتجددة وضبطها بوسائل البحث المتجددة . ولا حرج في الانتفاع بتلك التجارب في وسائل تنفيذ المبادئ الإسلامية . إن مبادئ الإسلام ثابتة لا تتغير ، أما تحقيق هذه المبادئ فتجده . ومن ثم نملك الانتفاع بتجارب البشر في هذا المجال وذلك . على ألا نصطدم سواء في تحديد الحاجات الاجتماعية وضبطها ، أو في وسائل تلبيتها وتحقيقها بمبدأ ثابت في الإسلام ، ولا باتجاه أساسي من اتجاهاته الخالدة . . ونضرب هنا بعض الأمثلة متمجلين بها مواضعها من هذا البحث ، لإيضاح ما نعنيه هنا :

إن الإسلام مثلاً يجعل العدل المطلق ، بكل معانيه ، في جميع مجالاته ، أصلاً من أصول الحياة في المجتمع الإسلامي . العدل في تسوية البشر جميعاً من ناحية النشأة ، والجنس والحقوق والواجبات . والعدل في إتاحة فرص الحياة والنمو والعلم والعمل والتفوق لجميع من يقلهم الوطن الإسلامي ، دون حاز من جنس أو لون أو طبقة أو نسب أو نفوذ مالي أو كائن ما كان من الحواجز . والعدل في الحكم والتقاضي دون تأثير من مودة أو شئان « ودون تأثر بقيمة من القيم على اختلافها ، حتى الدينية منها ( وسيأتي تفصيل هذا كله ) . . هذا من ناحية المبدأ في ذاته ، فأما وسائل تحقيقه فهي غير محددة في الشريعة . وقد حدد الفقه الإسلامي بعض الوسائل التي رآها مناسبة للعصر الذي نشأ فيه ؛ وما تزال هذه الوسائل قابلة للتجدد حسب ظروف كل بيئة ، وحسب التجارب البشرية النافعة في هذا المجال . . ولناخذ عدالة التقاضي مثلاً ،

فهل تراها تتحقق بأن تكون هناك محكمة واحدة ، أو بدرجات من المحاكم ؟  
 تراها تتحقق بأن يكون القاضي عاما أو أن يتخصص القاضي وتتخصص المحكمة  
 في نوع من القضايا ؟ تراها تتحقق بفصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية  
 والسلطة التشريعية ، أو بأن يكون للقاضي أو لبعض أنواع القضاة ، أو لبعض أنواع  
 المحاكم اختصاص تشريعي أو اختصاص تنفيذي . . الخ . . هذا كله متروك للأصلح  
 من تجارب البشرية ، والآراء المتجددة حسب الظروف المتجددة ، في كل مكان  
 وفي كل زمان . .

وإن الإسلام مثلا يجعل الشورى أساساً من أسس الحكم في الدولة الإسلامية . .  
 فأما كيف تتحقق الشورى على الوجه الأمثل فهذا ما لم ينص عليه . ولقد وقعت  
 في المجتمع الإسلامي على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وبعده في مسألة الخلاف  
 وغيرها ألوان من الشورى . ولكن هذا الذي وقع لا يحدد جميع وسائل الشورى .  
 بل إن ذلك متروك لما يجد من تطورات في جسم المجتمع الإسلامي ، وفي ظروفه ،  
 ومتروك كذلك لما يبتكر من وسائل الشورى الناجحة حسب التجارب المتجددة .  
 فهل تتم الشورى على الوجه الأمثل بالتصويت العام - في كل الشؤون أم في بعضها ؟ -  
 أم تتم بتصويت أهل الحل والعقد من ممثلي الأمة الذين لا يختلف عليهم ؟ أم تتم بواسطة  
 ممثلين للنقابات والجامعات والطوائف المختلفة ؟ وهل تتم بالتصويت الشفهي أم الكتابي ؟  
 وهل تتم بمسئولية الوزراء أمام الحاكم الأعلى المنتخب أم بمسئوليته أمام الهيئة الممثلة  
 للشعب ؟ وهل تتم بمجلس واحد أم بمجلسين ؟ . . الخ . . كل ذلك متروك لظروف  
 كل أمة وزمانها ومكانها ، وللتجارب البشرية التي تحقق الشورى على الوجه الأمثل .  
 وهكذا قضايا كثيرة . مما لم يرد فيه نص يحدد طريقة التنفيذ ووسيلة التطبيق ،  
 مما يحقق المرونة الكاملة للنظام الإسلامي ، مع بقاءه محكوماً بالشرعية التي تكيفت بها  
 نشأته ووجوده .

\*\*\*

ثم نعود إلى استعراض بعض الآثار التي تركتها تلك الخاصية الكبيرة في نظام  
 المجتمع الإسلامي . .

قلنا إن هذا النظام بسبب انبثاقه من العقيدة الإسلامية ، وتكيف وجوده بالشريعة المستمدة منها ، شديد الارتباط بتلك العقيدة . والواقع أن العقيدة الإسلامية واضحة الأثر في كل جزئيات النظام الإسلامي ؛ ما قرب من هذه العقيدة في الظاهر كالمبادئ والأخلاق ؛ وما بعد عنها في الظاهر كالمعاملات المالية ، والارتباطات الاقتصادية ، والعلاقات السياسية ، داخلية أو دولية . بحيث يصعب إدراك طبيعة أى جانب من هذه الجوانب المتعددة ، وفهمها فهما حقيقيا ، بدون دراسة العقيدة الإسلامية ، وفكرة الإسلام عن الكون والحياة والإنسان ؛ ثم الربط بين هذه الفكرة الكلية ، وبين أى جانب من جوانب الحياة في الإسلام ، فردية كانت أو عائلية أو جماعية أو دولية .

إن عقيدة التوحيد — بكل إشعاعاتها — تسيطر وتؤثر في مقومات النظام الاجتماعي الإسلامي . توحيد الله المطلق بلا شبهة من شرك أو تعدد . وتوحيد إرادة الله في الخلق والحفظ والضبط والحساب . وتوحيد الوجود الحادث عن توجه الإرادة الواحدة . وتوحيد الحياة في مصدرها وطبيعتها ومقوماتها . وتوحيد البشرية في مصدرها وأصلها ونشأتها ، وفي أجيالها وأهدافها ومبصراتها . وتوحيد الدين على أيدي أمة الرسل — وهم أمة واحدة — وتوحيد الأمة المؤمنة وهي تشمل كل من آمنوا برسول من رسل الله قبل أن يرسل أخوه بعده من لدن آدم إلى خاتم المرسلين . وتوحيد الطبيعة البشرية في اعتبارها وتوجيهها . وتوحيد العقيدة ، والعمل والعبادة والسلوك . وتوحيد الدنيا والآخرة في التوجه إلى الله<sup>(١)</sup> .

عقيدة التوحيد هذه — بكل إشعاعاتها — تسيطر سيطرة تامة على كل جوانب النظام الاجتماعي الإسلامي ؛ وتحدد كل مقوماته وخصائصه الأخرى ؛ وتفسر كثيرا من المشاعر والآداب ، والأخلاق والمعاملات ، والحقوق والواجبات ، والعلاقات والارتباطات في هذا النظام ، في كل صورها وأشكالها .

(١) راجع فصل : طبيعة العدالة الاجتماعية في كتاب : « العدالة الاجتماعية في الإسلام » وفصل : طبيعة السلام في كتاب : « السلام العالمي والإسلام » وفصل : القصة في القرآن في كتاب : « التصوير الفني في القرآن » وتفسير قوله تعالى : « تلك الرسل » في الجزء الثالث من ظلال القرآن .



وسيتكشف لنا صدق هذه الحقيقة الواقعة ، كلما مضينا في دراسة خصائص المجتمع الإسلامى ومقوماته ، وفي استعراض القواعد الشمورية القانونية التى تتحقق بها هذه المقومات والخصائص . فاما الآن فنكتفى بتتبع بعض آثار عقيدة التوحيد الإسلامية فى تحقيق خصيصة الربانية فى النظام الإسلامى .

ومع أن عقيدة التوحيد هى القاعدة التى تقوم عليها كل الديانات السماوية . فإن لها فى الإسلام مدلولاً أوسع وأشمل من مدلولها فى كل عقيدة . كل عقائد التوحيد أصلاً تتفق فى وحدانية الله سبحانه وتعالى . ولكن الإسلام يضيف إلى توحيد الله آثاره الطبيعية فى توحيد خلقه ، وتوحيد نشاط خلقه كذلك .

ويتضح هذا المعنى حين نوازن بين الإسلام واليهودية مثلاً ، فتراهما يتفقان على توحيد الله . ثم يعضى الإسلام إلى اعتبار بقية إشعاعات التوحيد التى أسلفناها . بينما اليهودية تقف عند حدود قومية محلية فى بنى إسرائيل ، لا تتعداهم إلى توحيد البشرية فى المحاطبة بالرسالة : « فأنايه فقولوا : إنا رسولا ربك ، فأرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم . قد جئناك بأية من ربك والسلام على من اتبع الهدى <sup>(١)</sup> » وقال موسى : « فرعون يا إني رسول من رب العالمين ، حقيق على ألا أقول على الله إلا الحق ، قد جئتكم ببينة فأرسل مئ بنى إسرائيل <sup>(٢)</sup> » . . . ولا بد أن يترتب على كلتا النظرية آثارها فى النظام الذى يقوم عليها : مبادئه وتشريعاته وتطبيقاته . ولندع ما ابتدعه اليهود بعد ذلك من أسطورة « الشعب المختار » ومن قولهم الذى حكاه القرآن عنهم : « وقالوا : ليس علينا فى الأميين سبيل » . . . وما ترتب على هذه الانحرافات من آثار أخرى فى علاقاتهم بالبشر ، وفى طرائقهم فى الحياة . .

ويتضح ذلك المعنى كذلك حين نوازن بين الإسلام والمسيحية ، فتراهما يتفقان على توحيد الله — مع غض النظر عن الانحرافات التى وقعت بعد ذلك نتيجة لدخول الرومان الوثنيين فى المسيحية ، وخلط وحدانياتها بوثنيتهم ، وما نشأ عن هذا الخلط من أوهام وأساطير — ثم نرى الإسلام يعضى إلى اعتبار سائر إشعاعات التوحيد ، بينما المسيحية تقف كذلك عند الحدود القومية لبنى إسرائيل : « ورسولا

إلى بني إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم . . . الخ»<sup>(١)</sup> فإذا تجاوزنا عن هذه السمة واعتبرنا الواقع التاريخي للمسيحية ، من كونها تحولت إلى دعوة عامة ، مخالفة في ذلك طبيعتها ومهمتها ، من أنها جاءت لبني إسرائيل خاصة ، ولفترة من الزمان موقوتة بظهور الرسالة التالية . وذلك بحكم تدخل عوامل سياسية خارجة عن طبيعة المسيحية ، عندما تنصرت الدولة الرومانية ففرضت المسيحية فرضاً ، وبحد السيف على رعايا الامبراطورية الرومانية . . إذا تجاوزنا سمة القومية المحلية ، فإننا نطلع على فارق آخر بين مدلول التوحيد الشامل في الإسلام ومدلول التوحيد الضيق في المسيحية عند النظر إلى الطبيعة البشرية . إذ تفصل المسيحية بين جسد الإنسان وروحه ، وتميل إلى كبت الطاقات الحيوية إطلاقاً للطاقات الروحية ، مما انتهى بالمسيحيين إلى نظام الرهبانية ، التي لم تُكتب عليهم ، وإنما ابتدعوها ابتغاء رضوان الله . بينما يوحد الإسلام الطاقات البشرية جميعاً ، فيجعل كل نشاط للإنسان عبادة . سواء في ذلك العبادة المفروضة والعمل والمتاع ، متى توجه الإنسان بنشاطه في أى حقل من هذه الحقول إلى الله .

\* \* \*

ونعود بعد هذا الإيضاح إلى تتبع بعض آثار عقيدة التوحيد الإسلامية في تحقيق خصيصة الربانية في النظام الإسلامى . . أول هذه الآثار هو توحيد المتجّه ، الذى يتوجه إليه الفرد والجماعة ، الحاكم والمحكوم ، العامل وصاحب العمل ، المنتج والمستهلك ، المعطى والآخذ . . توحيد المتجّه الذى يتوجه إليه هؤلاء جميعاً بنشاطهم العملى وإنتاجهم المادى ، كما يتوجهون إليه بمشاعرهم ووجدانهم سواء بسواء . . هذا المتجّه الواحد هو عبادة الله ابتغاء مرضاة الله : «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون»<sup>(٢)</sup> . « قل : إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين»<sup>(٣)</sup> . . . وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليُرى . فمن فى سبيل الله ؟ قال - صلى الله عليه وسلم - « من قاتل لتسكون كلمة الله العليا فهو فى سبيل الله »<sup>(٤)</sup> .

(٢) الذاريات . آية : ٥٦ .

(٤) متفق عليه .

(١) سورة آل عمران آية : ٤٩ .

(٣) سورة الأنعام . آية : ١٦٣ .

ونقف لحظة عند النص الأول من هذه النصوص ، لأن إيضاحه ذو أثر عميق في إيضاح جانب من فكرة الإسلام الكلية عن الحياة . فما معنى العبادة المقصودة في الآية : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » ؟ يبدو لي جلياً أن المراد هو رسم غاية عليا للحياة ، هو التوجه بكل نشاط فيها إلى الله . سواء كان هذا النشاط شعيرة تعبدية ، أم نية ، أم عملاً من أى نوع . أى التوجه بها إلى هدف أعلى من الأرض وأوسع مدى . أعلى من الحاجات البشرية القريبة . ومن شأن هذا التوجه بكل نشاط إلى الله ، تطهير الحياة ورفعها ، ومنحها معنى أسمى من معنى اللحم والدم ، ومقتضياتها القريبة أو البعيدة . وليس الغرض أن تقضى الحياة كلها في شعائر تعبدية ، فالإسلام يجعل كل نشاط يتوجه به الإنسان إلى الله عبادة — كما أسلفنا — ولو كان هذا النشاط هو الاستمتاع بطيبات الحياة ، التي أحلها الله ، بنية أن هذا المتاع تحقيق لإرادة الله في حل الاستماع بالطيبات . ومن هنا يجىء توحيد الطاقة البشرية ، وتوجيهها كلها إلى الله .

توحيد الاتجاه ، وتوحيد المتجه إليه من الأفراد والجماعات في المجتمع الإسلامى ، في كل شأن ، ومراقبة الله في كل قول أو فعل . يترك آثاره في طبيعة هذا المجتمع ، ونوع الروابط التي تقوم بين وحداته ، لأنها كلها تتجه إلى أفق أعلى من مصالح الناس كما يرونها لو خلى بينهم وبين تصوراتهم الذاتية للمصلحة . ولكن العقيدة في الله تجعل تصورهم للمصالح مستمداً مما رسمه لهم شريعته . فتتكيف طبيعة العلاقات بينهم بحسب هذا التصور . ولا تتفرد العوامل الاقتصادية وحدها بتكييف هذه العلاقات ؛ بل إن هذه العوامل الاقتصادية ذاتها لتتكيف وفق ما أراده الله لها في المجتمع الإسلامى ، يوفق إichاءات العقيدة في الله ، وإشعاعاتها في العلاقات الإنسانية كافة .

والإسلام يربط بين العقيدة والنظم والتشريعات التي يطلب إلى كل فرد في المجتمع الإسلامى صيانتها ومراعاتها ورد الحاكم المحكوم إليها . ونضرب على هذا بعض الأمثلة :

فالزكاة وهي ضريبة مالية ، تحقق جانباً من جوانب التكافل الاجتماعى في الإسلام ( وهو أوسع مدى من الزكاة وأكبر مدلولاً من الحقوق المالية عامة كما سيأتى )

هذه الزكاة فريضة دينية ، تمثل الركن الثالث من أركان الإسلام . تُطلب لاستحقاقها باسم الله ، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة في الله وفي أنه هو الذي استخلف أصحاب المال في ماله ، فحق عليهم أن ينفقوا بأمره وبإذنه من هذا المال : « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه <sup>(١)</sup> » . . « وآتوهم من مال الله الذي آتاكم <sup>(٢)</sup> » .

والربا — وهو داخل في المظم الاقتصادية والمالية — يحرم ، ويربط تحريمه بالعقيدة وإشاعاتها في النظرية المالية في الإسلام : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله ، وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم ، لا تظلمون ، ولا تظلمون <sup>(٣)</sup> » .

والحد في السرقة عقوبة تتعلق من ناحية بالنظام الأخلاقي ومن ناحية بالجانب الاقتصادي . وهي مربوطة بالعقيدة في الله ، تنفذ عقوبة من الله ، لا من المسروقين ولا من المجتمع كله : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا ، نكالا من الله <sup>(٤)</sup> » .

والحد في الزنا عقوبة ذات علاقة بالأخلاق من ناحية وذات علاقة بنظام الأسرة وبالنظام الاقتصادي ( في تدليس الأنساب وتوريث الغرباء ) وهي تربط بالعقيدة في الله ، ولا يذكر بجانها لا حق الأسرة ولا حق المجتمع ، ولكن حق الله : « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر <sup>(٥)</sup> » .

وهكذا كلما مضينا مع القواعد التي يقوم عليها النظام الاجتماعي الإسلامي ، نجد أنها مرتبطة ، بالعقيدة ، قائمة عليها ، مستمدة منها قوتها وأحقيتها محققة سنة الربانية في النظام الإسلامي .

« يتبع »

(٢) سورة النور . آية : ٣٣ .

(١) سورة الحديد . آية : ٧ .

(٤) سورة المائدة . آية : ٣٨ .

(٣) سورة البقرة . آية : ٢٧٨ — ٢٧٩ .

(٥) سورة النور . آية : ٢ .



## رسالة من الأستاذ محمد أسد

« يذكر الإخوة القراء المقالات القيمة التي كنا ننشرها للأستاذ محمد أسد (ليوبولدفايس) ويذكرون الشائعات التي دارت حول عودته إلى اليهودية والتي ذهب بعضها إلى أنه قد عاد إلى إسرائيل ، وقد أمسكنا عن التعليق عليها حينئذ حتى يتبين لنا وجه الحقيقة فيها . واليوم ننشر رسالة مؤثرة جاءتنا منه باللغة الإنجليزية ، ننشرها كما هي ، مع ترجمة لها باللغة العربية ، حتى تكون أسرة « المسلمون » على صلة مباشرة بحقيقة الأمر في هذه القصة الأليمة » .

بسم الرحمن الرحيم

3 East 80th Street  
New York 21, N.Y.

My dear brother Said,

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

It is only recently that I have learned of the vicious campaign of calumny and slander that is being waged against me. Although I am convinced that you, as well as other friends who know me well, would never give credence to such malicious lies, I should like to state unequivocally that the sole reason of my resignation from the Pakistan Foreign Service was a purely personal one, as is well known to the Government of Pakistan.

It is a most atrocious lie that I have reverted, or ever thought of reverting, to Judaism. Over many years I have struggled to the utmost of my capacity for the fulfilment of the ideals of Islam and my work was considered to have been a valuable contribution to the cause of Muslim revival. Nothing I have done or written since could be construed as an evidence of a change of attitude on my part.

I have never favoured the so-called State of Israel, or the Jews as a community. On the contrary, before, during and after my service with the Pakistan Government I have always championed the cause of the Arabs and have denounced the establishment of Israel, publicly and privately, as a moral crime of the first magnitude. It is also absolutely untrue that I have recently married a Jewess, as some people have alleged. My wife is a Muslim by faith and was a Roman Catholic before her conversion to Islam.

It is really a bitter irony that all these rumours are being spread at a time when I am working on a book describing my life and the reasons which led me to embrace Islam. I have undertaken to write this book at the request of one of the largest American publishers not merely as a literary enterprise but also - and mainly - because it offers me an opportunity to present the ideas of Islam to the Western world and to prove that the conversion of a European to Islam is not so "unreasonable" as most Westerners think.

Islam is, as it has always been, the most important factor in my life and my loyalty to it will certainly not be affected by the fact that some people of my own community - the Muslim community - have given credence to a campaign of calumny against me, forgetting that our Holy Prophet has condemned all ghaiba in the sharpest terms. It is a tragic testimony to the moral decadence of our community that a man who has spent his entire mature life in the service of Islam can be so easily doubted and slandered by the very people for whom he has been working.

Yours in Islam,  
Muhammad Asad

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي العزيز سعيد ...

السلام عليكم ورحمة الله

قد علمت مؤخراً فقط بحملة البهتان والافتراء المصيبة التي لم تزل مسلطة على . ومع أني مقتنع بأنك كسائر أصدقائي الذين يعرفونني جيداً لن تلقى سمعاً لمثل هذه الافتراءات التي أثارها الضفينة ، فلا بد لي أن أقرر بجلاء أن السبب الوحيد لاستئفائي من وزارة الخارجية الباكستانية كان أمراً شخصياً محضاً كما هو معلوم جيداً لدى حكومة باكستان .

لأنها أفظع فرية أني ارتددت أو فكرت في الارتداد إلى اليهودية . فلقد جاهدت خلال سنوات عديدة بكل ما استطعت من قوة لتحقيق مثل الإسلام العليا ، وقد كان عملي يعتبر عوناً قيمياً في مضمار النهضة الإسلامية ، ومنذ ذلك الحين لم أعمل أو أكتب شيئاً يمكن تفسيره ليكون دليلاً على أي تغير في الوضع من ناحيتي .

لأنني لم أوادد قط ما يسمى بحكومة إسرائيل أو اليهود كطائفة ، بل على العكس ، سواء قبل عملي مع حكومة باكستان أو أثناءه ، فقد ناصرت القضية العربية ، ونددت بقيام إسرائيل في المجال الخاص والعالم كجريمة أدبية من الطراز الأول . وكذلك ليس بصحيح إطلاقاً أني تزوجت أخيراً يهودية كما ادعى بعضهم ، فإن زوجتي مسلمة بالعقيدة ، وقد كانت من طائفة الروم الكاثوليك قبل اعتنائها إلى الإسلام

حقاً لأنها لسخرية مرّة أن تروج هذه الشائعات كلها في وقت اشتغل فيه بوضع كتاب (١) يصف حياتي والأسباب التي أدت إلى اعتناقي الإسلام . وقد تعهدت بتأليف هذا الكتاب بناء على رغبة واحد من أكبر الناشرين الأميركيين ، ليس كإنتاج أدبي وحسب ، بل كذلك — وعلى الأخص — لأنه يهيئ لي فرصة لتقديم الفكرة الإسلامية إلى العالم الغربي ، ولأنني أثبت أن اعتداء الأوربي على الإسلام ليس أمراً « لا يعقل » كما يتوهم أكثر الغربيين .

لأن الإسلام ، كما لم يزل دائماً ، العامل الأهم في حياتي ، ولن يتأثر إخلاصي له أبداً بأن بعض الناس من أمتي — الأمة الإسلامية — قد صدقوا حملة البهتان الموجهة لي ، ناسين أن رسول الله شدد التنكير على النبية . إنه لدليل مفرج على ضعفنا الأخلاقي ، إن الرجل الذي أمضى آونة نضجه كلها من الحياة في خدمة الإسلام يمكن أن يتهم ويفترى عليه بهذه السهولة من أولئك أنفسهم الذين كان عمله من أجلهم ؟

أخوك في الإسلام

محمد أسد

(١) أطلعنا الأستاذ أسد أثناء زيارتنا له في أمريكا — حيث يقيم الآن إلى أن ينتهي من كتابه ثم يعود ليقم في باكستان — على أجزاء من كتابه الجديد . وسنترجم منها فصولاً طريفة قيمة في أعدادنا القادمة بإذن الله .

# يا بنتي !

للأستاذ علي الطنطاوي

المستشار في محكمة النقض السورية

يا بنتي : أنا رجل يمشى إلى الحسين ، قد فارق الشباب ، وودّع أحلامه وأوهامه ،  
ثم إنى سحت في البلدان ، ولقيت الناس ، وخبرت الدنيا ، فاسمى منى كلمة صحيحة  
صريحة من سننى وتجاربى لم تسمعها من غيرى . لقد كتبنا وناديننا ، ندعو إلى تقويم  
الأخلاق ، ومحو الفساد ، وقهر الشهوات ، حتى كَلَّت منا الأقلام ، ومَلَّت الألسنة  
وما صنعنا شيئاً ، ولا أزلنا منكرآ ، بل إن المنكرات لتزداد ، والفساد ينتشر ،  
والسفور والحسور والتكشف ، تقوى شرته وتتسع دائرته ، ويمتد من بلد إلى بلد ،  
حتى لم يبق بلد إسلامى ( فيما أحسب ) فى نجوة منه ، حتى الشام التى كانت فيها  
الملاءة السابغة ، وفيها الغلو فى حفظ الأعراض ، وستر العورات ، قد خرج نساؤها  
سافرات حاسرات ، كاشفات السواعد والنحور . . .

ما نبحنا وما أظن أننا سننجح . أتدرين لماذا ؟ لأننا لم نهتد إلى اليوم إلى باب  
الإصلاح ، ولم نعرف طريقه ، إن باب الإصلاح أمامك أنت يا بنتى ، ومفتاحه بيدك ،  
فإذا آمنت بوجوده وعملت على دخوله ، صلحت الحال . صحيح إن الرجل هو الذى  
يخطو الخطوة الأولى فى طريق الإثم ، لا تخطوها المرأة أبداً ، ولكن لولا رضاك  
ما أقدم ، ولولا لينك ما اشتد ، أنت فتحت له وهو الذى دخل ، قلت للصوص :  
تفضل . . . فلما سرقك اللص ، صرخت : أغيثونى يا ناس سرقتم . . . ولو عرفت  
أن الرجال جميعاً ذئاب وأنت النعجة لفررت منهم فرار النعجة من الذئب ، وأنهم  
جميعاً لصوص لا حترست منهم احتراس الشحيح من اللص .

وإذا كان الذئب لا يريد من النعجة إلا لحمها ، فالذى يريده منك الرجل أعزّ عليك  
من اللحم على النعجة ، وشرّ عليك من الموت عليها ، يريد منك أعزّ شئ عليك :

عفاك الذى به تشرفين ، وبه تفخرين ، وبه تعيشين ، وحياة البنت التى فجعها الرجل بعفاها ، أشدّ عليها بمئة مرة ، من الموت على النعمة التى فجعها الذئب بلحمها . . .  
إى والله ، وما رأى شاب فتاة إلا جرّدها بخياله من ثيابها ثم تصور لها بلا ثياب ،  
إى والله أحلف لك مرة ثانية ، ولا تصدق ما يقوله بعض الرجال ، من أنهم لا يرون  
فى البنت إلا خلقها وأدبها ، وأنهم يكامونها كلام الرفيق ، ويودونها ود الصديق .  
كذب والله ، ولو سمعت أحاديث الشباب فى خواتمهم ، لسمعت مهولاً مرعباً ،  
وما ييسم لك الشاب بسمة ، ولا يُبلن لك كلمة ، ولا يقدم لك خدمة ، إلا وهى عنده  
تمهيد لما يريد ، أو هى على الأقل إيهام لنفسه أنها تمهيد !

وماذا بعد ؟ ماذا يا بنت ؟ فكبرى !

تشركان فى لذة ساعة ، ثم ينسى هو ، وتظلل أنت أبداً تتجرعين غصصها ، يمضى  
( خفيفاً ) يفتش عن مغفلة أخرى يسرق منها عرضها ، وينوء بك<sup>(١)</sup> أنت ( ثقل )  
الحمل فى بطنك ، والهم فى نفسك ، والوصمة على جبينك ، يغفر له هذا المجتمع الظالم ،  
ويقول : شاب ضل ثم تاب . وتبين أنت فى حمأة الخزي والمار طول الحياة ، لا يغفر  
لك المجتمع أبداً .

ولو أنك إذ لقيته نصبت له صدرك ، وزويت عنه بصرك ، وأرأيت الحزم  
والإعراض . . . فإذا لم يصرفه عنك هذا الصد ، وإذا بلغت به الوقاحة أن ينال  
منك بلسان أو يد ، نزلت به على رأسه — لو أنك فعلت  
هذا ، لرأيت من كل من يمرّ فى الطريق عوناً لك عليه ، ولما جرؤ بعدها فاجر على  
ذات سوار ، ولجاءك ( إن كان صالحاً ) تائباً مستغفراً ، يسأل الصلة بالحلال :  
جاءك يطلب الزواج .

والبنت ، مهما بلغت من المنزلة والغنى والشهرة والجاه ، لا تجد البنت أملاً إلا كبر  
وسعادتها إلا فى الزواج ، فى أن تكون زوجاً صالحة ، وأما موقرة ، وربة بيت .

(١) هذا هو التعبير الأصح . قال تعالى : « ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة »

سواء في ذلك الملكات والأميرات ، وممثلات هوليوود ذوات الشهرة ، والبريق الذي يندع كثيرات من النساء . وأنا أعرف أديتين كبيرتين في مصر والشام ، أديتين حقا — جُمع لهما المال والمجد الأدنى ، ولكنهما فقدتا الزوج ففقدتا العقل ، وصارتا مجنونتين — ولا تخرجيني بسؤالني عن الأساء ، إنها معروفة ! .

الزواج أقصى أمانى المرأة ولو صارت عضوة البرلمان ، وصاحبة السلطان ، والفاسقة المستهتر لا يتزوجها أحد . حتى الذي يغوى البنت الشريفة بوعد الزواج ، إن هي غَوَتْ وسقطت تركها وذهب ، إذا أراد الزواج فتزوج غيرها من الشريفات ، لأنه لا يرضى أن تكون ربة بيته ، وأم بنته ، امرأة ساقطة ! .

والرجل وإن كان فاسقاً داعراً ، إذا لم يجد في سوق اللذات ، بنتا ترضى أن تريق كرامتها على قدميه . وأن تكون لعبة بين يديه ، إذا لم يجد البنت الفاسقة أو البنت المغفلة ، التي تشاركه في الزواج على دين إبليس ، وشريعة القطط في شباط<sup>(١)</sup> طلب من تكون زوجته على سنة الإسلام ، فكساد سوق الزواج منكن يابنات ، لو لم يكن منكن الفاسقات ما كسدت سوق الزواج ولا راجت سوق الفجور . . . فلماذا لاتعملن ، لماذا لاتعمل شريفات النساء على محاربة هذا البلاء ؟ أنتن أولى به وأقدر عليه منا ، لأنكن أعرف بلسان المرأة ، وطرق إفهامها ، ولأنه لا يذهب ضحية هذا الفساد إلا أنتن : البنات العفيفات الشريفات ، البنات الصيئات الديئات . في كل بيت من بيوت الشام بنات في سن الزواج لا يجدن زوجاً ، لأن الشباب وجدوا من الخليلات ما يغني عن الخليلات ، ولعل مثل هذا في غير الشام أيضاً . . . فألفن جماعات منكن تميد أخواتكن الضالات إلى الجادة ، خوفوهن الله ، فإن كن لا يخفنه ، فخذروهن المرض ، فإن كن لا يخذرنه ، فحاطبنهن بلسان الواقع ، قلن لهن : إنكن صبايا جميلات فلذلك يقبل الشباب عليكن ، ويحومون حولكن ، ولكن هل يدوم عليكن الصبا والجمال ؟ ومتى دام في الدنيا شيء حتى يدوم على الصبية صباها ، وعلى

(١) شباط في الشام والعراق وفي الأدب العربي هو فبراير عند الإنكليز !



الجميلة جمالها ؟ فكيف يكن إذا صرتن عجائز محنّيات الظهور ، بمجعدات الوجوه ؟ !  
 من يهتم يومئذ بكنّ ، ومن يسأل عنكن ؟ أنعرفن من يهتم بالمعجوز ، ويكرمها  
 ويوقرها ؟ أولادها وبناتها وحفدتها وحفيداتها ، هنالك تكون المعجوز ملكة  
 في رعيّتها ، ومتوّجة على عرشها على حين تكون ( الأخرى . . . ) — أنتن أعرف  
 بما تكون عليه ! فهل تساوى هذه اللذة تلك الآلام ؟ وهل تشتري بهذه البداية  
 تلك النهاية ؟ .

وأمثال هذا الكلام ، لا تحتجن إلى من يدلكن عليه ، ولا تعدمن وسيلة إلى  
 هداية أخواتكن المسكينات الضالات ، فإن لم تستطعن ذلك معهن ، فاعملن على وقاية  
 السالمات من مرضهن ، والناشئات الغافلات من أن يسلكن طريقهن .

\*\*\*

وأنا لا اطلب منكن أن تمدن بالمرأة المسلمة اليوم ، بوئبة واحدة إلى مثل  
 ما كانت عليه المرأة المسلمة حقا ، لا . وإنى لأعلم أن الطفرة مستحيلة في العادة ،  
 ولكن أن ترجمن إلى الخير خطوة خطوة ، كما أقبلتن على الشر خطوة خطوة ،  
 إنكن قصّرتن الثياب شعرة شعرة ، ورققتن الحجاب ، وصبرتن الدهر الأطول  
 تعملن لهذا الانتقال ، والرجل الفاضل لا يشعر به ، والمجلات الداعرة تحث عليه ،  
 والفساق يفرحون به ، حتى وصلنا إلى حال لا يرضى بها الإسلام ، ولا ترضى بها  
 النصرانية ، ولم يعملها المجوس الذين قرأ أخبارهم في التاريخ ، إلى حال تأباها الحيوانات .  
 إن الديكين إذا اجتمعا على الدجاجة اقتتلا غيرة عليها وذوداً عنها ، وعلى الشواطئ  
 في الإسكندرية وبيروت رجال مسلمون لا يفارون على نسائهم المسلمات أن يراهن  
 الأجنبي ، لا أن يرى وجوههن . . . ولا أكفهن . . . ولا نحورهن . . . بل كل  
 شيء فيهن ! كل شيء إلا الشيء الذي يقبح مرآه ويجمل ستره ، وهو حلقتا العورتين  
 وحُلُمَتا الثديين . . . وفي النوادي والسهرات ، ( التقديمية ) الراقية ، رجال مسلمون  
 يقدمون نساءهم المسلمات ، الأجنبي ليراقصهن ، يضمهن حتى يلامس الصدر الصدر ،  
 والبطن البطن ، والفم الخد ، والذراع ملتوية على الجسد ، ولا ينكر ذلك أحد ، وفي

الجامعات المسلمة شباب مسلمون يجالسون بنات مسلمات متكشفات باديات العورات ولا ينكر ذلك الآباء المسلمون ولا الأمهات المسلمات ، وأمثال هذا .

وأمثال هذا كثير ، لا يُدفع في يوم واحد ، ولا بوثة عاجلة ، بل بأن نعود إلى الحق ، من الطريق الذى وصلنا منه إلى الباطل ، ولو وجدناه الآن طويلاً — وإن من لا يسلك الطريق الطويل الذى لا يجد غيره لا يصل أبداً .

وأن نبدأ بمحاربة الاختلاط ، والاختلاط غير السفور ، وأنا لا أمانع من كشف الوجه ، إن كان لا يتحقق بكشفه الضرر على الفتاة والعدوان على عفافها ، وأراه عند أمن الفتنة خيراً من هذا الذى نسميه فى بلاد الشام حجاباً ، وما هو إلا ستر للمعائب ، وتجسيم للجمال ، وإغراء للناظر ، السفور إن اقتصر على الوجه ، نقبل به وإن كنا نرى الستر أحسن وأولى ، أما الاختلاط فشيء آخر ، وليس يلزم من السفور أن تختلط الفتاة بغير محارمها ، وأن تستقبل الزوجة السافرة صديق زوجها فى بيتها ، أو أن تحييه إن قابلته فى الترام ، أو لقيته فى الشارع ، وأن تصافح البنت رفيقها فى الجامعة ، أو أن تصل الحديث بينها وبينه ، أو أن تمشى معه فى الطريق ، وتستعد معه للامتحان ، وتُنسى أن الله قد جعلها أنثى وجعله ذكراً ، وركب فى كلِّ الميل إلى الآخر ، فلا تستطيع هى ولا هو ولا أهل الأرض جميعاً ، أن يغيروا خلقه الله ، وأن ( يساووا ) بين الجنسين ، أو أن يمحوا من نفوسهم هذا الميل ، وإن دعاة المساواة والاختلاط باسم المدنية ، قوم كذابون من جهتين : كذابون لأنهم ما أرادوا من هذا كله إلا إمتاع جوارحهم ، وإرضاء ميولهم ، وإعطاء نفوسهم حظها من لذة النظر ، وما يأملون به من لذائذ آخر . ولكنهم لم يجدوا الجرأة على التصريح به ، فلبسوه بهذا الذى يهدفون به من هذه الألفاظ الطنانة ، التى ليس وراءها شيء : التقديمية ، والتمدن ، والحياة الجامعية ، وهذا الكلام الفارغ ( على دويته ) من المعنى فكأنه الطبل ...

وكذابون لأن أوربا التى يأتُمون بها ، ويهتدون بهديها ، ولا يعرفون الحق إلا بدمغتها عليه ، فليس الحق عندهم الذى يقابل الباطل ، ولكن الحق ما جاء من

هناك من باريس ولندن وبرلين ونيويورك ، ولو كان الرقص والحلاعة والاختلاط في الجامعة والتكشف في الملعب والعري على الساحل ، والباطل ما جاء من هنا ، من الأزهر والأموي وهاتيك المدارس الشرقية ، والمساجد الإسلامية ، ولو كان الشرف والهدى والعفاف والطهارة ، طهارة القلب وطهارة الجسد — إن في أوربة وفي أميركا ، كما قرأنا وحدثنا من ذهب إليهما ، أسراً كثيرات ، لا ترضى بهذا الاختلاط ولا تسيفه ، وإن في باريز ( في باريس ) ياناس ( آباء وأمهات لا يسمحون لبناتهم الصبايا الكبيرات أن يسرن مع شاب ، أو يصحبنه إلى السينما ، بل هم لا يدخلونهن إلا إلى روايات عرفوها وأيقنوا بسلامتها من الفحش والفجور اللذين لا يخلو منهما مع الأسف واحد من هذه ( التهريجات ) والصبيانيات السخيفة التي تسميها شركات مصر الهزيلة الرقيقة الجاهلة بالفن السينمائي مثل جهلها بالدين — تسميها أفلاماً !

يقولون ، إن الاختلاط يكسر شرّة الشهوة ، ويهذب الخلق ، وينزع من النفس هذا الجنون الجنسي ، وأنا أحيل في الجواب على من جرّب الاختلاط في المدارس ، روسيا ، التي لا تعود إلى دين ، ولا تسمع رأى شيخ ولا قسيس ، ألم ترجع عن هذه التجربة لما رأت فسادها ؟ وأميركا ، ألم تقرّوا أن من جملة مشاكل أميركا ، مشكلة ازدياد نسبة ( الحاملات ) من الطالبات ؟ فمن يسرّه أن يكون في مصر والشام ، وسائر بلاد الإسلام مثل هذه المشكلة ؟

وأنا لا أخطب الشباب ، ولا أطمع في أن يسمعوا لي ، وأنا أعلم أنني سأهيج على منهم مثل عشّ اثنائير يردّون على ويسفّهون رأبي ، لأنني أحرمهم من لذائذ ما صدقوا أنهم قد وصلوا إليها حقاً ، ولكن أخطبكن أنتن يا بناتي . يا بناتي المؤمنات الدينات ، يا بناتي الشريفات العفيفات ، إنه لا يكون الضحية إلا أنتن . فلا تقدمن نفوسكن ضحايا على مذبح إبليس ، لا تسمعن كلام هؤلاء الذين يزبنون لكن حياة الاختلاط باسم الحرية والمدنية والتقدمية والحياة الجامعية ، كان أكثر هؤلاء الملاحين لا زوجة له ولا ولد ، ولا يهيمه منكن جميعاً إلا اللذة العارضة ، أما أنا فأني أبو أربع بنات فأنا حين أدافع عنكن أدافع عن بناتي ، وأنا أريد لكن من الخير ما أريده لهن .

إنه لا شيء مما يهرف به هؤلاء يرد على البنت عرضها الذاهب ، ولا يرجع لها شرفها المثلوم ، ولا يعيد لها كرامتها الضائعة ، وإذا سقطت البنت لم تجد واحداً منهم يأخذ بيدها ، أو يرفعها من سقطتها ، إنما تجدهم جميعاً يتزاحمون على جمالها ، ما بقي فيها جمال ، فإذا ولى ولّوا عنها ؛ كما تولى الكلاب عن الجيفة التي لم يبق فيها مرعة لحم !

\*\*\*

هذه نصيحتي إليك يا بنتي ، وهذا هو الحق فلا تسمعي غيره ، واعلمي أن بيدك أنت ، لا بأيدينا معشر الرجال ، بيدك مفتاح باب الإصلاح ، فإذا شئت أصلحت نفسك وأصلحت صلاحك الأمة كلها .

والسلام عليك ورحمة الله



### محادثة العقلاء

قال عمر بن عبد العزيز : إني لأشتري المحادثة من عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود بألف دينار من بيت مال المسلمين ، فقيل : يا أمير المؤمنين ، أتقول هذا مع تحرّيك وشدة تحفظك وتنزهك ؟ فقال : إن يُذهب بكم ! إني لأعود برأيه ونصحه وهدايته على بيت مال المسلمين بألوف وألوف الدنانير . إن في المحادثة تلقيحاً للعقول وترويحاً للقلب ، وتسريحاً للهمم ، وتنقيحاً للأدب .

# الوقت هو الحياة

للإمام الشهيد حسن البنا

« وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ » قرآن كريم

الوقت من ذهب !! وهذا صحيح من حيث القيم المادية للذين لا يقيسون الوجود إلا بها ، ولكن الوقت هو الحياة للذين ينظرون إلى أبعد من ذلك !!  
وهل حياتك أيها الإنسان في هذا الوجود شيء غير الوقت الذي يمضي بين الوفاة والميلاد ؟! وقد يذهب الذهب وينفد ولكنك تستطيع الحصول عليه بعد ذلك ، وتستطيع أن يكون معك منه أضعاف ما فقدت ، ولكن الوقت الذاهب والزمن الفائت لا تستطيع له إعادة أو إرجاعا ؟ ! فالوقت إذن أغلى من الذهب وأغلى من الماس وأغلى من كل جوهر وعرض لأنه هو الحياة .

وليس النجاح متوقفا على الخطة الدقيقة والظروف المواتية فحسب ، ولكنه متوقف على اللحظة المناسبة كذلك . وقد كانوا يحذرون من الرأي الفطير ومن الرأي المتأخر أيضا ؛ والتوفيق أن يقع العمل في لحظته المناسبة « والله يقدر الليل والنهار » ولهذا كان أعظم الناس تعرضا للخسارة والإخفاق أولئك الغافلون « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم ذان لا يسمعون بها ؛ أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » ولقد كان من دعاء الصديق رضى الله عنه : « اللهم لا تدعنا في غمرة ولا تأخذنا على غرة ولا تجعلنا من الغافلين » وقد كان عمر رضى الله عنه يدعو بأن يرزقه الله البركة في الأوقات وإصلاح الساعات . ولا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه وعن ماله ماله مم اكتسبه وفيه أنفقه .

ومن أروع الصور التي عرض فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قيمة الوقت قوله الكريم : « مامن يوم ينشق فجره إلا وينادى : يا ابن آدم أنا خلق جديد ، وعلى عملك شهيد ، فتزود منى فإنى لا أعود إلى يوم القيامة » .

ليس أغلى في الوجود إذن من الوقت ، وإن الأوقات لتتفاوت في قيمها وبركتها



وحسن حظها وسعادة جدها ؛ فساعة أعظم بركة من ساعة ويوم أفضل عند الله من يوم وشهر أكرم من شهر :

هو الجدُّ حتى تفضل العين أختها وحتى يكون اليوم لليوم سيدا وتلك فرصة أتاحتها الله لنا نحن المؤمنين لنطرد فيها شبح الغفلة ، ولنعود فيها إلى التذكرة واليقظة ، ولنغتم منها نفحات الفضل حين تهب نسيمات القبول ؛ فإن الحسنة تتضاعف في هذه الأوقات المباركة فيرفع الله فيها من درجات عباده الصالحين ، كما يفتح باب المتاب على مصراعيه ليدخل من أراد الله به الخير من التائبين المنيبين .

ولقد جاءت الآيات الكريمة تشير إلى هذه الأوقات اليومية والأسبوعية والسنوية ، كما أكدت ذلك التوجيهات النبوية ؛ فالله تبارك وتعالى يقول : « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تطهرون » ويقول : « واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين » ويقول : « والفجر وليال عشر » ويقول : « ليشهدوا منافع لهم وليذكروا اسم الله في أيام معلومات » ويقول : « واذكروا الله في أيام معدودات » .

ولقد وجهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قيمة الوقت وطريق الانتفاع به فيما ورد عنه في كثير من الأحاديث ، مشيراً إلى أن المؤمن بين غافتين : بين عاجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه ، وبين آجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه ؛ فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الهرم ومن الحياة قبل الموت .

فيأبها الأخ العزيز : أمامك كل يوم لحظة بالغداة ولحظة بالعشي ولحظة في السحر تستطيع أن تسمو فيها كلها بروحك الطهور إلى الملاء فتظفر بخير الدنيا والآخرة ، وأمامك يوم الجمعة وليلتها تستطيع أن تملأ فيهما يديك وقلبك وروحك بالفيض الهاطل من رحمة الله على عباده ، وأمامك مواسم الطاعات وأيام العبادات وليالي القربات التي وجهك إليها كتابك الكريم ورسولك العظيم ؛ فاحرص على أن تكون فيها من الذاكرين لا من الغافلين ، ومن العاملين لا من الخاملين ، واغتم الوقت فالوقت كالسيف ، ودع التسويف فلا أضرمه :

وكن صارماً كالوقت فالوقت في عسى وخلّ لعمل ففى أكبر علة

وسل الله لنا ولك التوفيق للعمل المقبول والوقت الفاضل

# مَرْفُوقُ الْقَرَارِ وَالسَّيِّئَةِ

لِلأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

( ٧ )

## عقود غير صحيحة

انتهينا في الكلمات الماضية من الكلام على الشروط التي نرى وجوب تحققها في البيع ليكون صحيحاً شرعاً ، وختمنا تلك الكلمات ببيان معنى الأمر والنهي في نص الشارع ، وبيان الحكم الإجمالي لما نهى عنه الشارع من تصرفات .

والآن ، نأخذ في التطبيق على تلك الشروط لنعرف حكم المشرع الحكيم في بعض عقود البيع التي عرفها التاريخ ، ثم في بعض العقود الهامة التي تجرى في أسواقنا الرسمية وغير الرسمية في هذه الأيام .

فهذه العقود مما يجب أن يعمل الفقهاء لبيان حكم القانون الإسلامي فيها ؛ وإلا كنا غير جادين في المناداة بأن تكون الشريعة الإسلامية الأساس لما نحكم به من قوانين ، وإلا كان الفقه الإسلامي « في باب المعاملات » من القوانين التي دخلت في ذمة التاريخ وأصبح لا وجود لها في الحياة العملية !

### بطلان وفساد :

هذا ، ونحب أن نقول من أول الأمر إنه لا يعتبر باطلاً كل عقد لم يتوفر فيه جميع الشروط التي ذكرناها ؛ بل من هذه العقود ما قد يعتبر باطلاً ، كما أن منها ما يعتبر فاسداً ، وأخيراً نجد منها ما يكون مكروهاً فحسب ؛ وسيأتى مثل هذه العقود كلها .

وضروب البيع الباطلة والفاصلة كثيرة ، وإن كان يعمها أن الشارع قد نهى

عنها كلها . فمن هذه البيوع ، ما نهى عنها لأمر يرجع لأصلها وأركانها ، نعى لأمر يتصل بالعاقدين أنفسهم أو لمحلها وموضوعها . ومنها ، ما نهى عنه لا لشيء من ذلك ، بل للخلل يرجع فقط لوصف عارض للعقد ملازماً له أو غير ملازم ؛ وسيتضح ذلك كله فيما يأتي .

على أن قسمة العقود غير الصحيحة إلى عقود باطلة وأخرى فاسدة ، هو مذهب العلماء الأحناف وحدهم ، أما في رأى الفقهاء الآخرين ، فالعقد ليس إلا صحيحاً أو غير صحيح ، ويعبرون عن غير الصحيح بالباطل أو الفاسد على حد سواء<sup>(١)</sup> .

ومع هذا ، فإن بعض الأحناف يستعمل التعبير بالعقد الفاسد فيما يشمل الفاسد والباطل معاً ، ومن هؤلاء برهان الدين المرغيناني إذ يقول : « وإذا كان أحد العوضين أو كلاهما محرماً ، فالبيع فاسد ، كالبيع بالميتة والدم والخنزير والخمر ؛ وكذلك إذا كان غير مملوك كالحر<sup>(٢)</sup> » .

يقول المرغيناني ذلك ، مع أن عامة فقهاء الأحناف على أن بيع الخمر مثلاً عقد باطل ، وأن جعلها ثمناً لمبيع حلال بيعه عقد فاسد ؛ ولهذا نقول — كما قال غيرنا من قبل — إن هذا التعبير منه فيه تساهل ، فإن قسمة العقود عند الأحناف جميعاً ثلاثية لا ثنائية<sup>(٣)</sup> .

ولعل من المهم بعد هذا ، أن نذكر أن اختلاف الفقهاء فيما بينهم في تقسيم العقد إلى صحيح وغير صحيح : باطل أو فاسد ، أو تقسيمه إلى صحيح وباطل وفاسد ، هذا التقسيم يرجع إلى مسألة غنى يبحثها علماء أصول الفقه . هذه المسألة هي : هل النهى عن عقد من العقود معناه إثم من يقدم عليه ، ثم عدم اعتباره صحيحاً شرعاً إن وقع فعلاً ؟ أو أن النهى لا يقتضى إلا الإثم ، ثم قد يعتبر العقد قائماً شرعاً أحياناً ؟

(١) راجع الشرح الكبير للدردير ، ج ٣ ص ٦ ؛ شرح المنهج وحاشية البجيرى عليه ، ج ٢ ص ٢٢٢ وما بعدها ؛ كشف القناع ، ج ٢ ص ٥ وما بعدها ؛ مقدمات ابن رشد ، ج ٢ ص ٢١٣ وما بعدها ؛ الأشباه لابن نجيم ، ص ١٨٥ .  
(٢ ، ٣) راجع بداية البتدى وشرحها هداية للهندي ، مع فتح القدير شرح الهداية ، ج ٥ : ١٨٥ - ١٨٦ .

ذهب غير الأحناف إلى الرأي الأول ، وإذا فلا يكون أى أثر مشروع لعقد نهى الشارع عنه ، أى أنه إن وقع مع النهى عنه كان باطلاً أو فاسداً على حد سواء ، ولا قيمة له شرعاً بحال ؛ وسواء أكان النهى عنه يرجع لأمر يتعلق بأصله وأركانه ، أم كان لوصف عرض له .

وقد يستدل هؤلاء لما يرون ، بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » ، ومن أدخل في ديننا ما ليس منه فهو رد » كما قد يؤيدون مذهبهم أيضاً ، بأن ابن عمر رضى الله عنهما قد احتج في بطلان زواج المشركات بنهى الله تعالى عنه إذ يقول ( سورة البقرة م ٢ : ٢٢١ ) : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » الآية .

على حين نرى الأحناف قد ذهبوا إلى الرأي الثانى ؛ فالنهي عن أى عقد من العقود ، فى البيع أو غيره ، قد يكون معناه أن من يقدم عليه يكون آثماً ، لا أنه يكون باطلاً حتماً ودائماً .

كما يرون أن النهى لأمر يرجع لأصل العقد وأركانه يحمل العقد باطلاً ، مثل بيع الطفل والمجنون وبيع الخمر والخنزير والميتة . فإن كان النهى لأمر آخر ، كالنهي عن بيع ما فيه غرر أو البيع وقت النداء لصلاة الجمعة ، يكون من الحق أن يكون للعقد حكم آخر ؛ أى قد يعتبر منعقداً ، ولكن يجب فسخه إلا إذا زال الأمر الذى نهى عنه من أجله .

وقد كان جميلاً من الإمام أبى حامد الغزالى ، وهو من كبار العلماء الشافعية ، أن يتعرض لهذه المسألة الهامة من الناحية الموضوعية لا المذهبية فقط ؛ أى بحث الأمر من ناحية الحق فى نفسه ، لا من ناحية نصرة مذهب كما نرى كثيراً من العلماء أصحاب المذاهب .

ولذلك ، نراه يذكر آراء كلٍّ من الفريقين ، ويورد ما احتج به كل فريق لنصرة رأيه ، ثم ينتهى إلى ما رآه الرأى الحق والمختار .

وهذا الرأي الحق والمختار هو أن النهى عن العقد من العقود لا يستلزم دائماً الفساد ؛ أى تخلف حكم العقد عنه ، مثل نقل الملكية فى عقود البيع .

إنه ، وهو بسبيل الاحتجاج لما يراه مع الرد على ما يحتج به المخالفون ، يذكر أنه لا يستحيل أن ينهى الشارع عن تصرف من التصرفات ، ثم يكون لهذا التصرف مع ذلك أثره الم شروع . « فلم يستحيل أن يحرم الاستيلاء ، ويُنصب سبياً لملك الجارية ؛ ويحرم الطلاق ، ويُنصب سبياً للفراق ؟! بل لا يستحيل أن ينهى عن الصلاة فى الدار المنصوبة ، ويُنصب سبياً لبراءة الذمة وسقوط الفرض <sup>(١)</sup> » .

وقد عُنَى أخيراً بالرد على احتجاج غير الأحناف بالحديث الذى ذكرناه آنفاً ، وبصنيع ابن عمر رضى الله عنهما ، فقال : ( وقوله عليه السلام : « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد ، ومن أدخل فى ديننا ما ليس منه فهو رد » ، قلنا معنى قوله : رد ، أى غير مقبول طاعة وقربة ، ولا شك أن المحرم لا يقع قربة ، أما ألا يكون سبياً للحكم فلا <sup>(٢)</sup> ) .

وبعد هذا ، ذكر أن الاستدلال بالنهائى على الفساد ، كما فعل ابن عمر ، ليس مجمعاً عليه من الأمة . نعم قد يتمسك به ( أى بهذا الاستدلال من ابن عمر ونحوه ) فى التحريم والمنع ، أما فى الإفساد فلا يصح التمسك به . ونحن نرى أن هذا احتجاج قوى من الغزالي حجة الإسلام ، وهو شاهد لصحة رأى الفقهاء الأحناف .

### بيوع محرمة :

ونأخذ الآن فى الكلام عن بعض البيوع غير الجائزة شرعاً ، على اختلاف الفقهاء فى بعضها ، وهذه البيوع التى نريد الحديث عنها هى :

( أ ) بيع ما ليس بمال ، أو البيع بما ليس بمال .

( ب ) البيوع الربوية ، ومنها بيع العينة .

( ح ) بيع الوفاء .

(١) راجع المستصفي من علم الأصول ، ج ٢ ص ٢٦ - ٢٧ .

(٢) نفسه ص ٢٧ .



وربما كنا في غنى عن الكلام في هذه العقود ، لأن هذا العقد أو ذاك يعتبر غير جائز شرعاً متى فقد شرطاً من شروط صحة العقد التي سبق أن بحثناها بتفصيل ؛ ولكننا رأينا من الخير أن نتحدث عنها بإيجاز لأن في بعضها اختلاف بين الفقهاء ، وليكون ذلك تطبيقاً عملياً على ما ذكرنا من الشروط .

١ - فبيع ما ليس بمال لدى المسلمين ، هو مثل بيع ما حرم الله تعالى وأهدر قيمته المالية وغير المالية ، فحرم ملكه وتعليكه للغير ؛ ولعل أوضح المثل لذلك الخمر والخنزير والميتة ، وكذلك سائر المواد المخدرة أو المسكرة كالخشيش والأفيون .

وتحريم العقد على شيء من هذا ونحوه ، واضح من تعريف البيع من أنه مبادلة مال بمال بالراضى بين المتبايعين ، وليس في هذه الأشياء صفة المالية عند المسلمين ، وإذا كان يكون منطقياً تحريم العقد عليها بسبب فقدها هذه الصفة .

وبيع ما هو مال عند المسلمين بما ليس بمال كالخمر مثلاً ، هو من ذلك الضرب أيضاً ، وإن سماه الأحناف بيعاً فاسداً لا باطلاً ؛ إذ يفرقون في العقود بين ما هو باطل وبين ما هو فاسد كما عرفنا (١) .

ذلك ، بأننا نرى أن تسمية العقد في هذه الحالة فاسداً لا باطلاً ، لا تغني من الأمر شيئاً ، فهو عقد محرم الإقدام عليه وواجب شرعاً فسخه ؛ فإن الآية التاسعة والعشرين من سورة النساء صريحة في النهي الغليظ عن أن يأكل بعضنا مال الآخر بالباطل ، وهنا نجد المشتري في هذا العقد — إن جعلناه سبباً للملكية — يأخذ مال البائع بالباطل ، أى بما دفعه من ثمن وهو ليس بمال .

« الحديث موصول »

(١) البيع الباطل في رأيهم لا يفيد الملكية بمال ، والفاقد يفيد ملك التصرف في المبيع إذا قبضه المشتري ، على أن فسخ العقد الفاسد واجب شرعاً عندهم أيضاً . راجع الهداية وفتح القدير ، ج ٥ ص ١٨٨ ، ٢٢٧ ؛ البدائع ، ج ٥ ص ٢٩٩ ؛ شرح الزيلعي ، ج ٤ ص ٦١ — ٦٣ .

# الحقوق الشخصية الشرعية وقانون العقوبات

للأستاذ عبد القادر عودة

تمهيد :

لم يكن مبحث الحقوق الشخصية التي تقرها الشريعة الإسلامية غريباً على القضاة والمحامين قبل سنة ١٨٨٣ م كما هو غريب اليوم ، لأن أحكام الشريعة كانت سائدة في مصر من وقت دخولها تحت حكم الدولة الإسلامية ، شأنها في ذلك شأن أى بلد دخله الإسلام ، فكانت الشريعة تطبق في الجرائم والعلاقات المدنية والتجارية ، وفي الإدارة والسياسة وفي العلاقات الدولية .. الخ ، ولهذا لم يكن أحد من رجال القضاء أو المحامين يجهل الحقوق الشخصية الشرعية ، لأنها جزء من أحكام الشريعة الإسلامية التي يجب تطبيقها على كل العلاقات وفي كل الأحوال .

وفي سنة ١٨٨٣ أصدر المشرع المصري قانون العقوبات ، وقد استمد معظم نصوصه من القانون الفرنسي ، وأخذ بعضها عن القانون العثماني ، ولما عدل قانون العقوبات في سنة ١٩٠٤ أخذت بعض نصوصه عن قوانين لاصلة لها بالشريعة الإسلامية ، كالقانون الإيطالي والقانون البلجيكي والقانون الهندي .

وقد أنشأ المشرع محاكم خاصة وكل إليها تطبيق قانون العقوبات ؛ فأدى ذلك إلى تعطيل نصوص الشريعة في كل ما يتعلق بالجرائم ، لأن المحاكم الجديدة اعتبرت نفسها مختصة بتطبيق قانون العقوبات والقوانين الملحقه به فقط ، ولأن المحاكم الشرعية ، وهي التي كانت مختصة من قبل بتطبيق نصوص الشريعة في جرائم الحدود والقصاص ، لم تعد تستطيع أن تطبق نصوص الشريعة على هذه الجرائم ، لأن السلطة التنفيذية أو السلطة المختصة بتحريك الدعوى العمومية لا تقدم المتهمين في هذه الجرائم للمحاكم الشرعية ، ولا تطلب منها أن تحكمهم وتحكم عليهم أولهم .

كذلك أنشأت السلطة القائمة على التعليم مدارس خاصة لتدريس القوانين ، وقد جرّت هذه المدارس على الاهتمام بدراسة القوانين الوضعية وإهمال دراسة الشريعة إلا في مسائل الأحوال الشخصية ، وقد أدّى ذلك بدوره إلى نتيجة محزنة ، إذ أصبح كل رجال القانون تقريباً يجهلون كل الجمل أحكام الشريعة الإسلامية واتجاهاتها العامة ، بل يجهلون أحكام الإسلام الذى جمّله الدستور ديناً رسمياً للدولة المصرية .

ولقد حرص المشرع المصرى على أن ينص فى صدر قانون العقوبات على أن أحكام هذا القانون لا تخل فى أى حال من الأحوال بالحقوق المقررة لكل شخص فى الشريعة الإسلامية ، وبالرغم من وجود هذا النص الصريح وما يترتب عليه من نتائج عملية هامة ومن نتائج قانونية وتشريعية فى غاية الخطورة ، وبالرغم من أن الشريعة تتميز عن القوانين الوضعية بهذه الحقوق الشخصية ، بالرغم من هذا كله فإن الشراح المصريين لم يهتموا بدراسة هذه الحقوق دراسة مفصلة ، بل لم يحاولوا أن يعرفوا عدد هذه الحقوق ومداها وشروط استعمالها وعلة تقريرها وما يترتب على استعمال كل حق ، وقد اكتفوا بأن يدرسوا من الحقوق الشخصية ما يقره القانون الفرنسى ، وأن يدرسوه على الشراح الفرنسيين ، وأن يملأوه بقواعد القانون العامة كما يعمل الشراح الفرنسيون ، متناسين أن هناك نصاً فى قانون العقوبات المصرى لا مقابل له فى القانون الفرنسى ، وأن هذا النص يمنع منعاً باتاً سريان نصوص قانون العقوبات على من يستعمل حقاً من الحقوق التى تقررها الشريعة .

ولقد اندفع الشراح المصريون فى هذا الطريق تحت تأثير عاملين : أولهما : أنهم لا يدرسون الشريعة ، ولا يعرفون شيئاً من أحكامها واتجاهاتها . ثانيهما : أنهم يقيدون أنفسهم فى أغلب الأحوال بأراء الشراح الفرنسيين واتجاهاتهم ؛ فيحرمون ما حرّموا ويبيحون ما أباحوا .

ولقد أدّى كل هذا إلى نتائج طبيعية ، فأصبح مبحث الحقوق الشخصية بعيداً عن أذهان رجال القانون غريباً عليهم ، وأصبح نص قانون العقوبات الصريح الذى يمنع من الإخلال بهذه الحقوق نصاً معطلاً ، على الرغم من صراحته ودقة صياغته ، بل إن تلك الصراحة وهذه الدقة لم تمنع إحدى المحاكم من القول بأن لفظ الحقوق الذى

ورد بصيغة الجمع إنما يقصد به حق الدية وحده ، وقد وجد هذا الحكم الفريد محكمة تويده استثنائياً في ٧/٩/١٨٨٩ للتفسير الصحيح الذي أخذت به المحكمة التي أصدرت الحكم الابتدائي ، كذلك لم تمنع صراحة النص ودقته بعض الشراح من القول بأن الحقوق الشخصية التي لا يسرى عليها قانون العقوبات هي الحقوق التي يقرها القانون الوضعي والشرعية معاً ، وهو رأى أقل ما يقال فيه أنه لا منطق له ؛ إذ لو كان الأمر كذلك لما كان هناك ما يدعو بأى حال للنص على الحقوق الشخصية التي تقرها الشريعة الغراء ، ولقد أعيا بعض الشراح أن يتخلص من صراحة النص وقوته ودقته فراح يدعى أن وضع للإيهام والتمويه ، وهو تعليل لا يصدق إلى على نفس الرأى الطريف الذى يصطنعه المدعون بالإيهام .

ومع أن قانون العقوبات كان ينص صراحة على حق الدية حتى عدل في سنة ١٩٣٧ ، ومع أن قانون تحقيق الجنايات ينص في المادة ٥٦ منه على حق الدية ، فإن محكمة أسبوط الابتدائية ذهبت في سنة ١٩٠١ إلى أنها غير مختصة بالحكم في الدية وأن المختص بنظرها المحاكم الشرعية . ولعل أول ما يثيره هذا الحكم في الذهن هو أن المحكمة استطاعت أن تتخلص في لباقة تحسد عليها من الرجوع لكتب الشريعة واستظهار الأحكام الشرعية التي يجهلها أكثر رجال القانون .

ومن أجل هذا كله رأيت أن أدرس الحقوق الشخصية الشرعية دراسة مفصلة ، وأن أقدم هذا البحث لرجال القانون في صورته الحقيقية بماله وبما عليه ، وإني لأرجو أن يجدوا فيه من الفوائد العلمية والعملية أكثر مما وجدوا في أى مبحث آخر ، وأن تكون هذه الدراسة فاتحة عهد جديد إن شاء الله .

### أساس الحقوق الشخصية في قانون العقوبات :

نصت المادة السابعة من قانون العقوبات على أن أحكام هذا القانون لا تنحل في أى حال من الأحوال بالحقوق الشخصية المقررة في الشريعة الغراء .

والأصل في المادة السابعة من قانون العقوبات الحالى هو المادة الأولى من قانون العقوبات الصادر في سنة ١٨٨٣ وكان نصها ما يأتى :

« من خصائص الحكومة أن تعاقب على الجرائم التي تقع على أفراد الناس بسبب ما يترتب عليها من تكدير الراحة العمومية ، وكذلك الجرائم التي تحصل ضد الحكومة مباشرة . وبناء على ذلك فقد تعينت في هذا القانون درجات العقوبة التي لأولياء الأمر شرعاً تقريرها ، وهذا دون إخلال في أى حال من الأحوال بالحقوق المقررة لكل شخص بمقتضى الشريعة الفراء » .

وعند تعديل قانون العقوبات في سنة ١٩٠٤ ألغى صدر المادة الأولى وجعل مجزهاً في الترتيب المادة السابعة ، وعلل الشارع إلغاء صدر المادة بأن العمل بهذا القانون منذ أكثر من عشرين عاماً دون أن ينشأ عن ذلك خلاف مع الشريعة مما يحمل على الظن بأن لا ضرورة لوجود مثل هذه المادة<sup>(١)</sup> .

ويستخلص من نص المادة الأولى من قانون سنة ١٨٨٣ ، ومن وضعها في صدر القانون ، ومما علل به الشارع إلغاء الجزء الأول منها ، يستخلص من كل ذلك ما يأتي :

أولاً : أن الأساس الأول الذي قام عليه قانون العقوبات هو أن يكون متفقاً مع الشريعة الإسلامية ، وأن المادة الأولى وضعت لتكون دستوراً يحكم قانون العقوبات ، فلا تفسر أحكامه ومبادئه العامة بما يخرج على أحكام الشريعة ومبادئها ولو أن قانون العقوبات مقتبس من قوانين أخرى لا تمت للشريعة بصلة .

ثانياً : أن الشارع يؤكد المعنى السابق حين ينص على أن أحكام قانون العقوبات لا تخل في أى حال من الأحوال بالحقوق المقررة لكل شخص بمقتضى الشريعة الفراء لأن هذه الحقوق مستمدة من أصول الشريعة ومبادئها العامة ، فالإخلال بها إخلال بالشريعة .

ثالثاً : أن المشرع يوجب تغليب مبادئ الشريعة على مبادئ القانون في حالة التخالف ، فيقرر أن أحكام قانون العقوبات لا تخل في أى حال من الأحوال بالحقوق التي تقررها الشريعة ؛ أى أنه إذا حدث تخالف أهملت نصوص القانون وطبقت نصوص الشريعة .

(١) التعليقات على قانون العقوبات الصادر في سنة ١٩٠٤ .



رابعا : أن المشرع يعترف بأنه استمد حقه في وضع قانون العقوبات من الشريعة الإسلامية ، ويرجع إلى الشريعة ليبرر بها شرعية قانون العقوبات .

ما يترتب على اعتراف المشرع بأنه استمد حقه في التشريع من الشريعة :

ويترب على اعتراف ولي الأمر أو المشرع كما نسميه اليوم بأنه استمد حقه في وضع قانون العقوبات من الشريعة نتائج هامة هي :

( ا ) أن المشرع يعترف بقيام نصوص الشريعة في المسائل الجنائية وغيرها ، لأنه يلجأ للشريعة ليبرر بها عمله ، كما أن النص على عدم الإخلال بالحقوق الشرعية يؤكد هذا الاعتراف ، لأن أساس هذه الحقوق هو الحرص على منع وقوع الأفعال التي تحرمها الشريعة ، وإقامة العقوبات المقررة لها شرعا إذا تهاونت السلطة الحاكمة في إقامتها .

(ب) أن اعتراف المشرع بأنه استمد من الشريعة حقه في وضع قانون العقوبات يقتضي أن لا يخرج قانون العقوبات على نصوص الشريعة ، وأن تكون الشريعة أعلى درجة بل درجات من قانون العقوبات ، لأن الحق في وضعه وإيجاده مستمد منها ، ولأن صاحب الحق في وضعه يستطيع إبقاءه أو إلغاءه كما استطاع إيجاده ، ولأنه استطاع ويستطيع كل هذا لا بقوته وسلطانه وإنما بقوة وسلطان الشريعة التي منحتة حق التشريع .

( ح ) من المسلم به في كل تشريع أن الشريعة التي تمنح الحق هي التي تحكم الحق ؛ فاعتراف المشرع بأنه استمد حقه في تقنين الجرائم والعقوبات من الشريعة الإسلامية يقتضي الرجوع إلى الشريعة دون غيرها لمعرفة ما إذا كان المشرع قد استعمل حقه في حدوده أو أساء استعمال هذا الحق أو خرج على حدوده ، كما يقتضي أن يكون الحكم للشريعة دون غيرها في حالة إساءة استعمال الحق أو الخروج على حدوده .

هل استعمل المشرع حقه في حدوده المقررة ؟

وإذا أردنا أن نعرف إلى أي حد استعمل ولي الأمر حقه الذي استمده من الشريعة باعترافه ، وهل بقى في حدوده أم خرج على هذه الحدود — إذا أردنا

أن نعرف شيئا من هذا ، وجب أن نرجع إلى الشريعة الإسلامية التي منحت  
ولى الأمر حق التشريع لنعرف حدود حقه في التشريع ، وما يترتب على الخروج على  
هذا الحق ، ثم نرجع بعد ذلك إلى قانون العقوبات لنرى أكان ولى الأمر ملتزما بحدود  
حقه في التشريع أم خرج على هذه الحدود .

ومعرفة هذا كله تقتضى أن نتكلم على :

١ - طريقة الشريعة في التشريع بصفة عامة .

٢ - حق أولى الأمر في التشريع بصفة عامة .

٣ - ما يترتب على خروج أولى الأمر على حدود حقهم في التشريع .  
ثم نتكلم بعد ذلك على طريقة الشريعة في التشريع الجنائي ، ثم حق أولى  
الأمر في التحريم والعقاب .

أولا : طريقة الشريعة في التشريع بصفة عامة : الأصل في الشريعة الإسلامية

أنها جاءت للناس لتحكمهم في كل حالاتهم وليحكموها في شئون دنياهم قبل  
أن أن يحكموها في شئون آخرتهم ، ولكن الشريعة مع هذا لم تأت بنصوص  
تفصيلية تحكم الجزئيات والفرعيات إلا في حالات قليلة ، ومن الأمثلة على ذلك جرائم  
الحدود وجرائم القصاص والدية ، واكتفت الشريعة في أغلب الأحوال بإيراد  
نصوص عامة مرنة تعتبر بحق القواعد العامة للتشريع الإسلامى ، والهيكل الذى يمثل  
معالم التشريع الإسلامى ، والضوابط التى تحكم التشريع الإسلامى ، وتركت الشريعة  
لأولى الأمر أن يتموا بناء التشريع على أساس هذه القواعد ، وأن يستكملوا هذا  
الهيكل فيبينوا دقائقه وتفصيله في حدود المبادئ والضوابط التى جاءت بها الشريعة .

ثانيا : حق أولى الأمر في التشريع بصفة عامة : وحق أولى الأمر في التشريع

ليس مطلقا ، وإنما هو مقيد بأن يكون متفقا مع نصوص الشريعة ومبادئها العامة  
وروحها التشريعية ، وتقييد حقهم في التشريع على هذا الوجه يجعل حقهم  
في التشريع قاصرا على نوعين من التشريع : —

(١) تشريعات تنفيذية يقصد بها ضمان تنفيذ نصوص الشريعة الإسلامية ،

والتشريع على هذا الوجه يعتبر بمثابة اللوائح والقرارات التي يصدرها الوزراء اليوم ، كل في حدود اختصاصه لضمان تنفيذ القوانين .

(ب) تشريعات تنظيمية يقصد منها تنظيم الجماعة وحمايتها وسد حاجتها على أساس مبادئ الشريعة العامة ، وهذه التشريعات لا تكون إلا فيما سكنت عنه الشريعة فلم تأت بنصوص خاصة فيه ، ولا يمكن أن تكون فيما نصت عليه الشريعة . ويشترط في هذا النوع من التشريعات أن تكون قبل كل شيء متفقة مع مبادئ الشريعة العامة وروحها التشريعية ، فهي تشريعات توضع بقصد تنفيذ مبادئ الشريعة العامة ؛ وإذن فهي نوع آخر من التشريعات التنفيذية .

ثالثاً : ما يترتب على خروج أولى الأمر عن حدود حقهم في التشريع :

والقاعدة التي لا خلاف عليها أن عمل ولي الأمر صحيح طالما كان في حدود حقه ، باطل فيما خرج على هذه الحدود ، فإذا أتى أولو الأمر بما يتفق مع نصوص الشريعة ومبادئها العامة وروحها التشريعية فعملهم صحيح يجب له الطاعة ، وإذا أتوا بما يخالف نصوص الشريعة أو مبادئها أو روحها فعملهم باطل بطلاناً مطلقاً في كل ما يخالف الشريعة ، صحيح فيما عدا ذلك ، وكل ما كان باطلاً لمخالفته الشريعة لا يصح العمل به ولا يجب له الطاعة .

والأصل في هذه القاعدة قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول » فالله جل شأنه يوجب علينا طاعة أوامره ، كما يوجب علينا طاعة الرسول وأولى الأمر ، فالطاعة لله تجب بأمر الله ، والطاعة للرسول ولأولى الأمر تجب بأمر الله لا بأمر الرسول ولا بأمر أولى الأمر ، فإذا خرج ولي الأمر على ما أنزل الله فأمره باطل ولا يجب طاعته ، وهذا المعنى ظاهر في قوله تعالى : « فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول » فأوامر أولى الأمر ترد عند النزاع إلى ما أنزل الله وإلى ما جاء به الرسول ؛ فإن كانت موافقة وجبت لها الطاعة ، وإن كانت مخالفة فلا طاعة لها ، ولقد أكد الرسول صلى الله عليه وسلم هذه المعاني في قوله : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » وفيما قاله عن أولى الأمر : « من أمركم منهم بمعصية فلا سمع له ولا طاعة » .

« يتبع »

# الإسلام والعلاقات الدولية

للأستاذ الدكتور مصطفى الحفناوى

( ٥ )

إن الذين ينادون بفصل الدين عن الدولة ، قد ضلوا ضلالا بعيداً ، واندفعوا في طريق رسمه الاستعمار ، لكي يكفل لنفسه الدوام والبقاء في بلاد المسلمين .

وفصل الدين عن الدولة مسألة لها مسوغات في البلاد التي تعتنق الصليبية ، ولكن الأمر على نقيض ذلك في بلاد يذكر فيها اسم الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وما على الذين يتصدّون لهذه المسألة ، إلا أن يضعوا تحت أنظارهم الحقائق الآتية ، لكي يعرفوا الفرق بين الحال في بلاد المسلمين ، وما هو عليه في البلاد الأخرى :

أولاً : للمسلمين كتاب ، لا يتطرّق إليه الشك ، وقد دوّن هذا الكتاب حينما نزل ، وكما جاء به الوحي الأمين ، وسيظل منقوشاً على صفحات القلوب ، ونتلقفه جيلاً بعد جيل ؛ قال تعالى : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » .

وأما غير المسلمين ، فمنهم عبدة الأوثان ، وحكمهم حكم من لا دين له ، ومنهم أهل الكتاب ، وهؤلاء لا يدّعون أن الكتاب الذي يدينون به ، جاء به نبيهم ، وأنه بعباراته ومعانيه قد أزل ، ولم تمسه يد الإنسان بالصياغة أو الترجمة ؛ ولذلك تعددت كتبهم ، وتنوّعت ترجماتهم ، فإن قلنا لهم إنها لا تمت بصلة لأنبيائهم ، فلن يستطيعوا أن يقدموا برهاناً عقلياً ينفي هذا الذي نقول به .

ونحن نقطع بأن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، لم يقر واحداً من تلك الأناجيل المتعدّدة ، التي تتداولها الأيدي في بلاد الغرب على الأخص ، وتبهماً لذلك لا يمكن أن يقال إنها كتب سماوية .

ثانياً : الإسلام ، دون غيره من الأديان ، رسالة عالمية ، قد بعث الله نبيّه بالحق وأمره بتبليغ الرسالة للناس كافة ، وأما الرسائل التي سبقت في التاريخ فقد نزلت

في ظروف خاصة ، وكانت كلها تمهيداً للرسالة العظمى ، وقد جاءت ، حينما طغت الضلالة على البشر ، جامعة مانعة ، لتخرج الناس من الظلمات إلى النور وتهديهم سواء السبيل ؛ ولذلك لم تقف الدعوة الحمديّة عند حد العبادة ، بل نظمت المعاملات ، وهذبت العادات ، ولم تفرط في صميرة ولا كبيرة ، فما من مسألة يتصدى لها القانون الدّولى العام ، الذى ينظم علاقات الشعوب بعضها ببعض ، إلا ولها قواعد وأصول رائعة في شريعة محمد بن عبد الله ، وكذلك عنى هذا الدين القيم بالتشريع الداخلى لمسائل الأحوال الشخصية ، والمعاملات المدنية والتجارية ، وبين الجرائم ، وفرض العقاب عليها ، ونظم الإجراءات وطرق التقاضى ، وكفل الحقوق والحريات ؛ وظلت القوانين القرآنية ، جديدة ومتقدمة على كل عصر ، مهما بلغ خط أهله من الحضارة والمعرفة ، وأثبتت التجارب أنها صالحة لأهل الأرض جميعاً ، مهما كانت أجناسهم وعوائدهم وأمزجتهم وثقافتهم ، وكل هذا ليس له شبيه في أى دين آخر .

ثالثاً : يتميز الإسلام عن غيره من الأديان بأنه دين ثورى ، يحارب جبروت أهل الأرض ، ويستنفر أهله للجهاد وعدم الاستكانة ، ومقاتلة الظلم إلى حد الفداء والاستشهاد ، ومن هنا كان اهتمامه بالدولة وشئون الحكم ، ليكفل الحرية والمساواة لبنى الإنسان ، ويحفظ النظام الاجتماعى الذى أرسى قواعده على دعائم من العدل الكامل . ولكن غير الإسلام من الدعوات الدينية ، وقفت من المظالم موقفاً سلبياً ، وقالت : « أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » ، وحاولت أن تعالج الاستبداد ، بالابتعاد عن الدنيا ، والتفنى فى الأديرة ، ولذلك كانت الدولة بالنسبة لهذه الرسالات شيئاً ، وكان الدين شيئاً آخر .

رابعاً : لا كهنوت فى الإسلام ، فهذا الدين القيم لا يقبل بحال أن يكون حرفة ، يتوصل بها فريق من أبنائه لكسب قوتهم ، ويميزون أنفسهم به عن يتلقون علوم الدين عنهم ؛ ذلك لأن الأساس الإسلامى هو انعدام الوساطة بين المرء وربّه ، قال تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ولم يكن الحال كذلك فى البلاد التى ادّعت أنها تدين بالمسيحية ، فارتضت قيام سلطة روحية لها اليد العليا على الدولة ، وعلى الشعوب أيضاً ، وزعمت هذه السلطة أنها موكلة ببيع القصور



والضياغ في الجنة ، ففرضت على الناس - حكما ومحكومين - ألواناً من العبودية والرق تجافى أبسط الحقوق الإنسانية ؛ ولذلك قامت الحروب الدينية ، وسالت الدماء في أوروبا أنهاراً في العصور الوسطى ، وحُرق بعض المصلحين ، وعُذِّب آخرون بغير الحريق ، وكل هذا كان يجري باسم الدين وهو منه برىء . ومن أجل ذلك تنفر العقلية الأوروبية من فكرة اتصال الدين بالدولة لأنها ما زالت متأثرة بفظائع الكهنة وتجار صكوك الغفران ، ولها في هذا عذر مقبول .

خامساً : وللاعتبارات المتقدمة ، يدلنا الاستقراء التاريخي على ظاهرة ملفتة للنظر ، ففي فجر الإسلام كان المسلمون شديدي التمسك بدينهم ، وكان القرآن دستور الحكم ، فقامت لهم دولة عظمى ، سيطرت على بحار ومحيطات ، وخفقت رايثها فوق قارات العالم القديم . ولما تقبلت العقلية الإسلامية ألوان الحياة التي صرفتها عن دينها ، دبَّ ديب الانهيار في دولة المسلمين ؛ وكان الأمر عكس ذلك تماماً بالنسبة لأوروبا فحينما كان الأوروبيون خاضعين للكنيسة ، لم تكن لهم دول يحسب لها حساب ، وحينما أهملوا الكنيسة وتحلصوا من سلطانها ، صاروا أولى بأس شديد وقوة .

ومما تقدم ، يثبت أن فصل الدين عن الدولة ضرورة لا بد منها في بلاد الغرب ، لأن الدين الذي يعتنقونه لم يقل به رسول ، وإنما هو تراث جماعة أرادت أن تفرض لنفسها سلطة زمنية تملو على سلطان القياصرة والأباطرة ؛ فأشاعت الخرافات ، ونشرت الخزعيلات ، وقسمت المجتمع الإنساني إلى طبقات بعضها فوق بعض ؛ فالطبقة الدنيا هي رقيق الأرض : أي الشعب الذي يباع ويشترى ويرهن ويورث وليست له آدمية يحميها القانون ، وفوق هؤلاء الإقطاعيون والأمرأ وأصحاب التيجان ، وفوق أولئك جميعاً البابوية التي كانت تغفر لمن تشاء وتمذب من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وقد احتالت في سبيل الإبقاء على هذه الفوضى بالطقوس التي لا تختلف عن الوثنية في شيء ، وما زالت لتلك الطقوس الوثنية مخلفات تعيش حتى الآن .

وكان ممكناً أن يظل الغرب في جهالته الجهلاء ، راسخاً في أغلال الكنيسة ،

ومن تهبهم السلطة من الجبابة والطفة ، لولا أن الغرب قد أتيح له أن يتصل بالشرق ، فعرف كيف يعيش المسلمون ، وكيف يعامل الإنسان أخاه الإنسان ، وحدث هذا الاتصال حينما شنَّ الغرب حملاته الصليبية على المسلمين ، وزادت المعرفة لما انعقدت أواصر التجارة بين أوروبا والعالم الإسلامي ، ثم حانت الفرصة لماركس البرتغاليون متن البحار ووصلوا إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح في أواخر القرن الخامس عشر ، وكذلك كانت الدولة الإسلامية الأموية التي عمرت في الأندلس أربعة قرون ونصف منارةً للمبادئ التي أرشدت أوروبا إلى نظم الحياة . ولسنا نخالف الواقع إذا قلنا إن الثورة الفرنسية التي اشتعلت في آخر القرن الثامن عشر تدين بالفضل للفلاسفة الذين سبقوها من أمثال « روسو » و « فولتير » وهؤلاء الفلاسفة كانوا يرددون مبادئ نادى بها الإسلام وتناصلت في بلاده ؛ فالثورة التي دعت إلى الحرية والإخاء والمساواة ، وقلبت الأوضاع في أوروبا ، رأساً على عقب ، تدين بالفضل للإسلام . وإذا كانت الدساتير الحديثة قد وضعت على هدى من مبادئ تلك الثورة ، فإن الأصل العالمى السرمدي ، لأقوم تلك المبادئ هو الكتاب الذي أنزل على محمد عليه السلام ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ولكن الغرب منافق ، ولا يريد أن يعرف الفضل لأصحابه ، بل غشَّ وزيف وكال كتابه التهم جزافاً للمسلمين ، ذلك لأن الغرب قبل أن يفيق من غفلته ، ويتحرر من جهالته ، كان لا يزال عبداً للبابوية ، وهذه ملأت قلبه حقداً على الإسلام والمسلمين ، واستنفرتهم لقاتلتهم والسطو على ديارهم ، ولم يكن لهذه الحماقة من سبب إلا الخوف من النور الذي أشرقت شمسُه في القرن السابع الميلادي معلنة أنه لا وثنية ولا صكوك غفران ولا وساطة لدخول الجنة أو الفرار من النار ، فأحسَّت الكنيسة أن هذه الدعوة لا بد أن تحرمها من النفوذ الذي تتمتع به ، والثراء الواسع الذي تحصل عليه ، فراحت تناصبها العداء ، وتحالفت مع الاقطاعيين وذوى التيجان لأنهم بدورهم قد هُددوا تحت تأثير دعوة الرسول الأعظم بالحرمان مما كانوا به يتمتعون ؛ كان هؤلاء يملكون الرقاب ، فكيف يقبلون ديناً يقول لهم : إن الناس سواسية كأسنان المشط ، وكانوا يملكون الأرض ، فكيف يتنازلون عنها للخير العام ،

أو يدفعون عنها الزكاة ، وكانوا يسترقون الرعايا ، فكيف يمكن أن يطبقوا ديناً يبشر بأن الناس قد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ !

تحالف أولئك وهؤلاء ضد الدولة الإسلامية ، واستغلوا سذاجة شعوبهم في العصور الوسطى ، وقد أشاعوا الأكاذيب عن المسلمين ورموهم بالتعصب ، وصوروا لهم أن الجهاد من أجل الصليب هو جهاد في سبيل الله . ومن ناحية أخرى ، كانت القرصنة عملاً مشروعاً وصناعة للأمرء والنبلأ ، وأولئك قد أغرموا بحزائن الشرق والثراء الهائل الذي تمتع به المسلمون ، فتحالفت تلك العوامل كلها ، وأوجدت حالة عدااء بين المسلمين والصليبيين ، استمرت بضعة قرون ، فلما اقتبس المستنيرون من العالم الصليبي المبادئ الإسلامية ادعوا أنها من بنات أفكارهم ، ولكن قلة من الفلاسفة كانت تعترف عرضاً ببعض الفضل للمسلمين ، ومن هؤلاء « فولتير » الذي مجّد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، في كتابه الذي وضعه عن الأخلاق ، وهذا مرجع من المراجع التي تبين الصلة بين الإسلام وبين الثورة الفرنسية .

وقد فشلت الحروب الصليبية جميعها ، على الرغم من أن الدولة الإسلامية كانت قد تجزأت ، وتناحرت منذ العصر العباسي ، واعتريتها عوامل الهرم والشيخوخة ، فلم تكن القوة الذاتية لهذه الدولة هي التي كفلت النصر للمسلمين في أيام الدولة الأيوبية مثلاً ، وإنما انتصر المسلمون بفضل العقيدة الإسلامية وحدها ؛ وما فتئت هذه العقيدة حتى الآن هي الصخرة التي يتحطم عليها التكتل الأوربي ، ولقد نبئت فكرة الحلف المقدس في رءوس الساسة الأوربيين منذ القرن الثالث عشر ، وظلوا قروناً طوالاً يتفننون في البحث عن أنجع الوسائل للقضاء على دولة المسلمين ، فظهرت في السياسة الأوربية مسألة ، كانوا يسمونها المسألة الشرقية ، وقد جنوا بها وتحزبوا ضد السلاطين العثمانيين ، واستمروا قروناً طوالاً يعمدون لقتل الرجل المريض ، وهم الذين أمرضوه ، ومع ذلك لم يصلوا إلى ضالّتهم إلا في سنة ١٩١٨ ، حينما قطعوا أوصال آخر امبراطورية إسلامية . ومع أن أوروبا كانت قد تصنعت طوال القرن التاسع عشر ، وغزت بلاد المسلمين بحملات المراكيب ، وأصحاب المصارف ، وسيول المهاجرين من قطاع الطريق ، وتجار الرقيق الأبيض ، وصدّرت للشرق مدنية غربية فتّاكة ،

بما انطوت عليه من تحلل وإباحية ، واستثارة لأحطّر الفرائز ، ثم زحفت على المسلمين بالفرق المسلحة وبشركات الاستعمار ، وبكتائب المبشرين التي سارت في ظل أعمال السطو والإرهاب - نقول مع كل هذا لم يستطيعوا أن يتخلصوا من الكتلة الإسلامية التي اقضت مضاجعهم وهي مريضة إلا في سنة ١٩١٨ ؛ ذلك لأن الإسلام كان يدافع عن نفسه ، حتى وإن ضعف أهله ، بقوة مبادئه . ولقد بلغوا في النصف الثاني من القرن العشرين ، في العمران والتقدم العلمى والفنى والصناعى شأواً بعيداً ، وأخضعوا بلاد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بقوة الحديد والنار ، ونهبوا ثروات المسلمين ، وأعدوا ما استطاعوا من الجيوش البرية والبحرية والجوية ، وجردوا المسلمين من مختلف وسائل المقاومة ، وعذبوهم أيما تعذيب ، وتحكموا تقريباً في سير الفلك العالمى . ومع كل هذا هل يعتقد الغرب أن الدنيا قد دانت له ، وأن الإسلام لن تعود له دولة ، وأنهم فى مستعمراتهم آمنون ؟ ! . . إن علماء السياسة الغربيين ، فى السنوات الأخيرة ، فزعون من الإسلام ، ويرون أن قوته التى لاتموت أبداً تتفجر من تحت أقدامهم لتنسفهم فى البلاد التى أعلنت المقاومة والجهاد ، مع ضعفها وقلة حيلتها ، وهم أشد فزعاً من الحركة الزاحفة من الشرق الأقصى ، وهى التى تخفى أنباءها دعاياتهم الاستعمارية ، ولكن أقلام علمائهم تقطع بأن هذا النور الجديد يوشك أن يحرقهم ، وأنهم إلى زوال ، والمستقبل للإسلام .

ويطيب أن نكتب عن هذه الحركات الجديدة ، ولكننا نترك هذا الباب مؤقتاً ريثما نتبع سير الإسلام فى العلاقات الدولية ، فى مراحل التاريخ المختلفة ، وفى كل بلد على حدة ؛ لنثبت للذين ينادون بفصل الدين عن الدولة ، فى بلاد المسلمين ، أنهم دعاة للاستعمار . وسيكون ذلك فى الأعداد القادمة إن شاء الله .

### الحلم

جاء رجل إلى الأحنف بن قيس بإيماز من آخرين ، وجعل يشتمه والأحنف صامت لايتكلم ، حتى إذا أراد الأحنف القيام للغداء أقبل على الرجل وقال له : يا هذا إن غداءنا قد حضر ، فانهض بنا إليه أن شئت .

## يوم على هذا المنوال

خرجنا في الصباح إلى نزهة في حدائق « أن آربر » مدينة الجامعة المعروفة في أمريكا . وكنا ستة من المصريين ، ووقفت السيارة في ركن من حديقة بدية على شاطئ نهر صغير ، حيث نزلنا لنقضى بعض الوقت سيراً على الأقدام .

كان اليوم يوم السبت ، ويوما السبت والأحد هما يوماً الفراغ من كل أسبوع ، وقد اجتمع في الحدائق عدد كبير من الأمريكيين ، حاملين معهم أطعمتهم وأدوات للتسلية يقضون بها يومهم ، والحديقة معدة للجلوس إعداداً منسقاً جميلاً ، وإلى جانب كل حلقة من المقاعد موقد طريف للطهي والشيء ؛ وهكذا يحسن هؤلاء الناس الاستفادة من ( عطلتهم ) الأسبوعية . . . ويقطعون فيها أنفسهم عن مشاغل حياتهم العادية كأنها لم تمتد عنهم ، وأصبح ذلك في حياتهم أمراً رتيباً يعودون بعده إلى أعمالهم أصنى ذهنياً وأروح نفساً وأقدر على مواجهة تكاليف العيش . . . . . وذكري ذلك بما كنت أقرأه عن مجوز السياسة الخبيث « تشرشل » أثناء الحرب الماضية ومواظبته على قضاء ( عطلته ) الأسبوعية خارج لندن في كثير من الأيام الحرجة القاسية . وذكري كذلك بما قرأته في العام الماضي عن بعض المصانع الكبيرة التي جربت أن تمنح عمالها ربيع ساعة لراحة إجبارية خلال فترة العمل ، وكيف أن ذلك أحدث زيادة ملحوظة في كمية الإنتاج وفي إنتاجه !

وتبادرت إلى نفسي — إزاء هذه الحواظر — صور مكدودة للعاملين في أقطار الإسلام ؛ وما أقلهم وما أشد الحاجة إليهم . . . وما أقسى ما يأخذون به أنفسهم وتأخذهم به ظروفهم ، حتى إن أحدهم ليقضى عمره في حريق من الفسك والهمل والعمل الدائب ليله ونهاره ، لا تكاد تجلس له ساعة راحة يسكن فيها مما استدبر من أمره ، ويستجمع فيها للجديد منه ، ولعله لو خلاصت له هذه الساعة لكان أقدر على الاستفادة من كل ما يمر به ، وأقر بالآل في معالجة ما يجد عليه ولم لا ؟

ألم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول لبلال حين يقبل وقت الصلاة : « أرحنا بها يا بلال ! » ، وهل الصلاة إلا رحلة روحية يفر فيها الإنسان من مشاغله الطارئة ، ومن ألوان الحياة العارضة ، ليسلم نفسه لحظات إلى معاني الحق الذي لا يتغير ، وإلى آفاقه الفسيحة المشرقة التي لا تتلون ، ليسكن هناك في كنف الله إلى نبيح صادق من السلام والرحمة . . . أليس هو نفسه يملن ذلك في نهاية رحلته حين يردد عن يمينه وشماله : السلام عليكم ورحمة الله ! ! أليست الصلاة بذلك توجيهاً إلهياً إلى حاجة النفس الإنسانية إلى لحظات من السكينة بين الوقت والوقت ؟ لحظات يفر فيها الإنسان بنفسه من كذب الحياة ، ولا يفر فيها من نفسه كما يفعل أكثر هؤلاء الذين رأيت في « أن آربر » . . . لأنهم يفرّون فيها حتى من الفضيلة والطهر !

إن يوماً من الراحة النظيفة على هذا المنوال يفعل فعل السحر في حياة العامل المكدود !



## الشرق الأوسط في دور انتقال

للأستاذ الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس

أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية دار العلوم — جامعة القاهرة

كانت « الدولة العثمانية » فى أول القرن الحالى « العشرين » لا تزال حقيقة واقعة . بل إنها كانت كبرى الحقائق فى حياة الشرق الأوسط الإسلامى . وكانت حقيقة رائعة أيضا — فى المظهر على الأقل — بالنسبة إلى سائر شعوب العالم . وكان حكمها لا يزال يشمل أرجاء واسعة : فكان يتبعها إقليم « الشام » — هكذا كان فى الغالب يُدعى باسمه التاريخى الدال على الوحدة — وذلك منذ أن تغلب على دولة المماليك التى كانت تحكمه السلطان « سليم الأول » فى عام ٩٢٢ هـ الموافق ١٥١٦ م . فظل الشام نحو أربعة قرون يتلقى ولايته وأوامره من « الأستانة » . وكان ينقسم إداريا إلى ثلاث ولايات : حلب ، فدمشق ، وهى الكبرى ويتبعها ما يسمى الآن « شرق الأردن » ، فيبروت ، وإلى جوارها منطقة لبنان مستقلة استقلالاً ذاتيا منذ أواخر القرن التاسع عشر . ويضاف إلى ذلك لواء « القدس » وهو الذى يحكم أكثر أراضى فلسطين . ومن أشهر من ولاية الشام فى العصور العثمانية « آل العظم » فى خلال القرن الثامن عشر وأحمد باشا الجزائر ، ثم فى القرن التاسع عشر سليمان باشا وعبد الله باشا الجزائر . وتولى « مدحت باشا » ولاية دمشق لمدة قصيرة فترك أثرا حسنا . وكان يتبع الدولة العثمانية أيضا إقليم « العراق » وذلك منذ أن فتح بغداد وتغلب على الأسرة الصفوية الفارسية السلطان سليمان القانونى عام ١٥٣٤ م . وكان العراق فى بعض العصور ينقسم إلى ولايات : الموصل ، بغداد ، فالبصرة ، وشهرزور . وتمكن المماليك المجلوبون من مقاطعة جورجيا من الاستئثار بالحكم فى العراق نحو قرن ، ولكن السلطان محمود الثانى فى عام ١٨٣٠ أرسل جيشا منظما فقتل على

دولتهم ، واسترد العراق . فمنذ ذلك الوقت صار العراق يحكم حكما مباشرا ، وأخذ يفد عليه الولاة أو الباشوات من الأستانة ، واحدا إثر الآخر ، لا يذكر العراق منهم اليوم غير « أحمد مدحت باشا » الذى استطاع فى فترة ثلاث سنوات أن يدخل إصلاحات هامة عديدة ، وأخذ بيد العراق فنقله من الظلام إلى العصور الحديثة . ومع ذلك فقد بقى العراق متأخرا متخلفا عن ركب المدنية حتى مطلع القرن الحالى ، لأن حياته الاقتصادية بقيت خاضعة لإقطاع زراعى متحكم يتمثل فى سلطة رؤساء « العشائر » ، ولا تزال هذه من المشكلات السياسية والاجتماعية الكبرى فى العراق . وكان يتبع الدولة العلية أيضا ، حتى بدء الحرب العالمية الأولى ، إقليم « لحجاز » وإن كان « أشرف مكة » — وهم أسرة علوية تصعد بنسبها إلى الحسن بن على — قد استأثروا منذ قرون بالحكم فيه ، فصار وراثيا بينهم . وانتزعه « آل سعود » منهم حين كونوا دولتهم بنجد ، فى مطلع القرن التاسع عشر ، ثم استردوه ، وبقوا حاكمين الحجاز إلى عهد « الشريف حسين » وابنه « على » ، وهما آخر من حكم الحجاز من هذه الأسرة . وفى أوائل القرن الحالى كان « آل الرشيد » فى نجد — حيث كانت دولة آل سعود قد تقوضت لعهد قصير — يدينون بالولاء للخليفة العثمانى ، كما كان يتبع الدولة أيضا إقليم « الأحساء » الذى ضمه مدحت باشا إلى العراق فى أثناء ولايته ، وإمارات أخرى صغيرة فى شبه الجزيرة . وكانت طرابلس — وهى ليبيا — لا تزال تابعة أيضا للدولة العلية ، وخالية من النفوذ الأجنبى ، إذ لم تكن إيطاليا قد أغارت عليها بعد . أما مصر — هذه الوحدة الكبرى فى الشرق الأوسط — فبالرغم من أن الاحتلال الإنجليزى كان قد دهمها نتيجة لعجز وضعف وخيانة الأسرة التى كانت تحكمها ، وكانت كل جهودها موجهة لمكافحة هذا الاحتلال ، فإنها كانت تشعر أيضا بأنها مرتبطة برباط عاطفى وثيق بالخلافة ، وكانت لا تزال مؤمنة بالوحدة التاريخية الروحية ، كما كانت لا تزال — من الناحية القانونية الشرعية — متصلة بالدولة العثمانية ، وفقا لشروط معاهدة « لندن » الموقعة عام ١٨٤١ ، إذ أن الاحتلال الذى جاء بعد ذلك لم يكن شرعيا ، ولم يكن له أى سند ، بل كان مجرد اغتصاب وعدوان غاشم سافر .

هكذا كان السلطان « عبد الحميد » ( ١٨٧٦ - ١٩٠٩ ) الذى خلف ثلاثين من آبائه تعاقبوا على العرش - لا يزال فى مطالع القرن العشرين يحكم دولة ، بل امبراطورية مترامية الأطراف . وكان بلاطه فى « يلدز » لا يزال يمثل الأبهة والفخامة التى كان يمثلها بلاط الخلفاء العباسيين أو السلاطين السلجوقيين . وينظم الشعراء - كما رأينا أمثلة من ذلك فى مقال سابق<sup>(١)</sup> - المعلقات الفريدة ، وتدبج الصحف المقالات الطويلة فى مدحه . ولم يكن أحديستطيع أن يتنبأ عن ثقة - اللهم إلا إذا كان السياسى المحنك أو المؤرخ المطلع يستطيع أن يفعل ذلك - بأن نهاية هذا السلطان ، ثم خاتمة تلك الدولة ، ستكون قريبة . ولكن العوامل فى الحقيقة كانت تتجمع ، وكانت الأسباب تتكاثر ، التى كان من شأنها أنها - بعد بضع سنوات فقط من بدء القرن الحالى - أدت إلى إسقاط السلطان ، وظلت الأمور تتغير وتتطور ، حتى استقرت إلى غايتها بإلغاء الدولة كلها ، وظهر فى تركيا نظام جديد . كما تكونت نظم ووجدت ظروف جديدة فى حياة أقطار هذا الشرق الأوسط التى ذكرنا طرفا من تاريخها قبل قليل .

كانت الأداة القوية التى أدت إلى هذا الانتقال والتغيير جممية نشأت صغيرة أولا ، ثم أخذت تنمو ويتكاثر عدد أفرادها ، تكونت فى المنفى بعيدة عن أرض السلطان ، فى باريس أو غيرها من عواصم أوروبا . ثم أخذت مبادئها تتسرب ويُسمر بنفوذها داخل المملكة ، وينضم إليها كثير من أفراد الشعب . ولكن تأثيرها الأكبر ومركز قوتها كان بين أوساط الجيش ، فاعتنق مبادئها عدد كبير من الضباط الأحرار . وإذ شعرت بقوتها أخذت تضع الخطط وتعد عدتها لإحداث انقلاب تاريخى تتخلص الدولة على إثره من السلطان الاستبدادى لآل عثمان ، ويهيأ الجو لإيجاد حياة دستورية سليمة تستطيع الأمة عن طريقها أن تعبّر عن رغباتها وتنفيذ إرادتها . كانت هذه الجممية فرعا أو وليدا للجماعة « تركيا الفتاة » التى أسسها الرجل الحر الثائر « مدحت باشا » وقد مات هذا الرجل أو اغتيل بالدم منفيا بالطائف

عام ١٨٨٣ . ولكن مبادئه ظلت حية في صدور أتباعه ومريديه ، فلم تمض إلا سنوات قليلة ، ظهرت فيها الآثار السيئة لحكم عبد الحميد جليلة أمام أعين الأمة ، حتى هبَّ الأحرار من أبناء تركيا يسمعون لتدارك الحال ؛ فكان من أثر تلك الجهود تكوين « جمعية الاتحاد والترقي » وهي هذه الجمعية التي كُتِبَ لها في التاريخ أن تحدث هذا الأثر الهائل في تاريخ تركيا والخلافة ، ثم في تاريخ الشرق الأوسط بأكمله ، بل في تاريخ العالم .

أحكمت « جمعية الاتحاد والترقي » خطتها ، وحزمت أمرها ، وقامت بثورتها في خلال شهر يوليو من عام ١٩٠٨ . وبدأت في « سلانيك » بمقدونيا ، وأخذ جيشها يزحف نحو العاصمة ، وانضمت إليه فرق الجيش ، وسلمت إليه الحملات التي أرسلها عبد الحميد لقمعها ، وهكذا نجحت الثورة وأسقط في يد عبد الحميد فلم يستطع إلا الإذعان . وأعلن أنه مستعد لإجابة طلبات الأمة ، وقرر فتح البرلمان الذي أغلقه ، وإعادة الدستور الذي ألغاه ، يوم أن نفي زعيم الأحرار في تركيا « مدحت باشا » وكان ذلك قبل ثلاثين عاما . واستولى زعماء الحركة وفي طليعتهم أنور بك ونيازی بك وجمال بك وغيرهم على الحكم ، ولم يعد للسلطان أمر ولا نهى ، ثم قرروا خلعهم نهائياً في عام ١٨٠٩ حين حاول أن يقوم بثورة مضادة ؛ وبذلك بدأ عهد الاتحاديين في تركيا والشرق الأوسط والبلقان .

كان فرح الناس - ولا سيما الأحرار - بنجاح هذه الثورة عظيماً ، وانتعشت الآمال ، وتطلع الجميع لمستقبل زاهر وعهد مشرق من الإصلاح . ولم يكن فرح العرب بأقل من فرح الترك أنفسهم بزوال عهد الحكم الفردي المستبد ، وكان لكلمة الدستور أثر السحر في كل قلب ، فكل إنسان ظن أنه بمجيء الدستور سيُقضى على كل فساد ويبدأ كل صلاح . ظن الناس في الشام ومصر والعراق والحجاز وغيرها أن دولة إسلامية فتيّة جديدة قد بدأ عهدا ، وأن اتحاداً وثيقاً سيكون بين كل الأقطار التي يتكون منها الشرق الأوسط الإسلامي بما فيه تركيا . وإذا أردنا أن نأخذ صورة عن هذا الفرحة الغامر الذي شمل كل قلب فلنصنع مثلاً إلى بعض ما قال حافظ وشوقي من شعراء مصر إشادة بالمعهد الجديد وتحية لرجاله :

قال « حافظ » من قصيدة عنوانها « عيد الدستور العثماني » ، أنشدها في حفل جامع أقيم بمحديقة الأزبكية في مساء الجمعة ٢٣ يوليو سنة ١٩٠٩ م ، قال :

أجل هذه أعلامه ومواكبه هنيئاً لهم فليسحب الذيل ساحبه  
هنيئاً لهم فالكون في يوم عيدهم مشاركة وضّاء ومفاريه  
رعى الله شعباً جمع العدل شمله وتمت على عهد الرشاد رغائبه

إلى أن قال — مشيراً إلى رجال الثورة — :

ثلاثة آساد يجانبها الردى وإن هى لا قاها الردى لا تجانبه  
روت قول « بشار » فثارت وأقسمت وقامت إلى « عبد الحميد » تحاسبه  
( إذا الملك الجبار صمّر خده مشينا إليه بالسيوف نعاتبه )

...

رجال من الإيمان ملأى نفوسهم وجيش من الأتراك ظمأى قواضيه  
صواجه سمر القنا ، وكراته زعوس الأعدى ، والحصون ملاعبه

...

فمن لم يشاهد يلدزا بعيد ربهها وقد زال عنه الملك واندك جانبه  
وقلت الأقدار أظفار بطشه ودل على ما تجهل الجن حاجبه  
ولم ينف عن عبد الحميد دهاؤه ولا عصمت عبد الحميد تجاربه  
ولم يحمه حصن ولم ترم دونه دنائيره والأمر بالأمر حازبه  
وأصبح في منقاه والجيش دونه يغالب ذكرى ملكه وتغالبه

...

مضى عهد الاستبداد واندك صرحه وولت أفاعيه وماتت عقارب  
لك الله يا ( تموز<sup>(١)</sup> ) إنك بلسم لجرحى الأسى والدهر تعدو نوابه  
فدينك من شهر أغر محجل أوائله ميمونة وعواقبه  
تقابله الأعياد في الأرض كلما تجلى هلال الشهر أو لاح حاجبه  
إلى آخر القصيدة .

(١) تموز هو شهر « يوليو » ، فاعجب التوافق بين مصرعى طاغيتين !



أما « شوقي » فقد قال :

سل « يلدزا » ذات القصور هل جاءها نبأ البدور ؟  
لو تستطيع إجابةً لبكتك بالدمع الغزير  
أخني عليها ما أنا خ على الخورنق والسدير  
...

أين الأوانس في ذراها من ملائكة وحوار  
الترعات من النعيم الروايات من السرور  
...

الآمرات على الولاة الناهيات على الصدور  
أمضى نفوذا من زبيدة في الإمارة والأمير  
...

دارت عليهن الدوا في الخادع والخدور  
إلى أن قال :

عبد الحميد حساب مثلك في يد الملك الغفور  
سُدت الثلاثين الطوائف ولسن بالحكم القصير  
تهدى وتأمروا ما بدا لك في الكبير وفي الصغير  
لا تستشير وفي الحمى عدد الكواكب من مشير  
كم سبّحوا لك في الرواح وألهوك لدى البكور

ثم قال يخاطب الجيش الذي قام بالحركة :

يا أيها الجيش الذي لا بالدعى ولا الفخور  
كالليث يسرف في الفعالة وليس يسرف في الزئير  
الخاطب العلياء بالارواح غالية المهور  
يتلو الزمان صحيفة غرام مذهب السطور  
في مدح (أنورك) الجرى وفي (نيازيك) الجسور  
يا (شوكت) الإسلام بل يا فاتح البلد المسير

إلى آخر ما قال .

وفى قصيدة أخرى مطلعها :

بشرى البرية قاصيها ودانيها      حاط الخلافة بالدستور حاميا

قال :

ياشعب عثمان من ترك ومن عرب      حياك من يبعث الموتى ويحييها  
صبرت للحق حين النفس جازعة      والله بالصبر عند الحق موصيها  
نلت الذي لم ينله بالقنا أحد      فاهتف (لأنورها) واحمد (نيازيها)  
ما بين آمالك اللأى ظفرت بها      وبين (مصر) معان أنت تدريها

\*\*\*

فكل هذا يدل على عظم الفرحة التي شعرت بها النفوس في كل أقطار الشرق ،  
لتكليف هذه الحركة الدستورية التي تهدف إلى الإصلاح بالنجاح . ولبت الجميع  
يترقبون ما تسفر عنه الحركة من خير النتائج وأعودها بالنفع على الأمة ومستقبلها  
والدين ، وما ستحققه من أعمال عظام . ولكن هل برر المستقبل ما شعر به الناس من  
الفرح في هذه اللحظة ؟ وإلى أي حد حققت الثورة الآمال ؟ وماذا كان أثرها الحقيقي  
في حياة الأمة ؟ وما هو الحكم الذي سجله التاريخ عليها ؟ « يتبع »

### القوة داعية الإنصاف

ولست أبالي بمد طول تجاربي      أمعتكر جو السياسة أم صافٍ  
إذا السيف لم يُنصفك ممن تخافه      فلست على حالٍ بآملٍ إنصافٍ

« خير الدين الزركلي »

# مولانا نور

الأستاذ على أحمد با كثير

( ١ )

[ في بيت آمنة بنت وهب . آمنة وجارتها بركة ( أم يمن ) ]

- بركة : كلا يا مولاتي . . . لن أدعك تبشرين اليوم أى عمل .  
آمنة : ويحك يا بركة دعيني أساعدك قليلا في عملك فأني بخير .  
بركة : كلا كلا لا حاجة بي إلى مساعدتك . عليك أن تستريحى فهذا آخر شهرك التاسع .  
آمنة : لكنى لا أجد أى ثقل ولا ألم ، بل إنى لأجدنى اليوم أنشط منى فى أى يوم مضى .  
بركة : أما إن أمرك يا مولاتي لعجيب . أما زلت تسمعين صوت ذلك الهاتف ؟  
آمنة : كل ليلة يا بركة .  
بركة : ماذا سمعته البارحة يقول ؟  
آمنة : سمعته يقول : يا آمنة بنت وهب إنك حملت سيد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض فقولى : أعيذه بالواحد من شر كل حاسد .  
بركة : ألا أدعوك قتيلا بنت نوفل لعلها تستطيع أن تفسر لك هذا الأمر بما عندها من علم أخيها ورقة بن نوفل ؟  
آمنة : كلا . . ما بى إلى علمها ولا إلى علم أخيها حاجة .  
بركة : إنها يا مولاتي حفية فى السؤال عنك ، لا ترانى ألا سألتنى عنك وعن حملك فإذا يضيرك لودعوتها إليك ؟

- آمنة : ألم تعلمي يا بركة أنها صاحبة عبد الله، وأنها تنفس هذا الحمل على وترى  
أنى سلبتها إياه . أنسيت قولها عني :
- الله ما زهرية سلبت ثوبى ما سلبت ولا تدرى ؟
- بركة : لكنها تحبك اليوم ولا تنفس عليك . إن سؤالها عنك لسؤال المحبة المخلصة .
- آمنة : [ تنهد ] أيا ما يكن حالها فقد انقضى الذى بيننا منذ ذهب عبد الله  
إلى غير معاد !
- بركة : واحسرتاه على مولاي عبد الله ! ويحه ما كان يخلص من محنة التضحية  
حتى غوضر في شبابه قبل أن يهنا بشيء .
- آمنة : باليته عاش حتى يرى وليده هذا ولو سحابة يوم ! آه يا بركة لولا هذا  
الصوت الذى يبشرنى دائماً ويعزىنى، ولولا أنى حريصة على أن يبقى  
لعبد الله عقب منى لكنت هلكت حزناً عليه .
- بركة : أجل يا مولاتى إن مصابك به لفوق كل مصاب .
- آمنة : ولكن نساء قريش يلمننى على ما يرين من تجلدى وتصبرى، ويمعدن ذلك  
سلوانا منى عن ذلك الذى يقطن عنه إنه أجمل هاشمى درج على أرض  
البطحاء ، وإن أية واحدة منهن لو نجحت به ما عاشت بعده يوماً . الله  
لهن ! إنهن لا يعلمن ما فى قلبى ولا يدرين أمر هذه المواتف التى درجت  
تبشرنى فى كل ليلة . ولو أنى قلت لهن شيئاً من ذلك لرمينى بالمس  
أو بالاختلاق .
- بركة : [ فى اهتمام مفاجئ ] مولاتى مولاتى . . هذه قتيلة مقبلة !
- آمنة : قُتيلة !
- بركة : نعم .
- آمنة : مرحبا بها . . أكرمى مقدمها يا بركة .
- قتيلة : [ تدخل ] عمى صباحا يا آمنة !
- آمنة : مرحباً بك يا قتيلة . لطالما بلغتني بركة جميل سؤالك عني . لا عدمتك !
- قتيلة : رعاك الله يا بنت وهب . ما وسعنى اليوم إلا أن أجىء بنفسى لأراك  
وأرى غلامك السعيد اليمون

- آمنة : ويحك يا بنت نوفل إنه ما زال في غيب الله .
- قتيلة : ستضعينه اليوم يا آمنة . لقد حدثني أخى ورقة أنه رأى البارحة ذلك النجم الأحمر الذى يظهر ليلة مولد ذلك النبي المنتظر وقد بعثنى لأستطلع .
- آمنة : أو قد حدثك بذلك ؟
- قتيلة : إى والله وقد ظننت أننى سأجذك قد ولدته .
- بركة : لكن مولاتى لا تشكو اليوم شيئاً ولا ندرى متى يأتياها الطلق .
- قتيلة : إن يكن هو الذى حملت به حقاً فسيأتياها الطلق اليوم لا محالة ، وإلا كان ذلك فى بيت آخر .
- بركة : كلا لن يكون ذلك فى بيت آخر أبداً . إن مولاتى لتسمع الهواتف كل ليلة تبشرها بذلك .
- آمنة : مه يا بركة !
- قتيلة : الهواتف ؟ فمى يا آمنة تكتمين ذلك عني ؟ أو تظنين يا أختاه أننى ما زلت أجد عليك لأنك سلبتني هذا الشرف ؟ كلا ورب الكعبة لقد اختارك الله وقضى الأمر . وإنك لأولى بذلك منى فأنت زوج عبد الله وهو بملك ، وما كنت إلا غريبة دعتة إلى استبضاعها لتفوز دونك بالحظ الذى كتبه الله لك . فخبرينى يا بنت وهب ماذا تقول لك الهواتف ؟
- آمنة : إنه هاتف واحد بذاته يا قتيلة ، وقد قال لى أموراً كثيرة وعيت بعضها وعزب عني بعض .
- بركة : حدثها يا مولاتى بما قال لك البارحة .
- قتيلة : أجل ماذا قال لك البارحة يا آمنة ؟
- آمنة : قال لى : يا آمنة بنت وهب إنك حملت سيد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض فقولى : أعينه بالواحد من شر كل حاسد .
- قتيلة : فابشرى يا آمنة أنه هو لا ريب ... هو النبي المنتظر . قد علمت أن عيني لم تكذبني ذلك اليوم إذ رأيت تلك الغرة المتوقدة كالكوكب الدرى على جبين عبد الله فلما عاد إلى من عندك التمسها فلم أجدها إذ انتقلت



إلى أحشائك يا آمنة . إنه هذا الجنين الذى فى بطنك وإنه سيخرج  
اليوم لا محالة .

آمنة : [ تتأوه تأوها خفيفا ] آه !

بركة : ما خطبك يا مولاتى ؟ أتشكين شيئا ؟

آمنة : لا شيء يا بركة إلا وجعا يسيرا آنته يدب فى ظهري .

قتيلة : هلم القابلة يا بركة فإنى لا أحسن هذا الشأن وبإلتنى أحسنه !

بركة : ولا أنا يا أختاه .

قتيلة : انطلقى حالا . . . انطلقى إلى الشفاء فإنها أكرم قابلة فى مكة .  
أعرفين دارها ؟

بركة : نعم أعرف دارها . . على أن تبقى أنت عند مولاتى ريثما أعود ؟

قتيلة : وبيك لن أريم مكانى هذا حتى أشهد الغلام الميمون .

[ يخرج بركة منطلقا ]

آمنة : قتيلة !

قتيلة : نعم يا آمنة .

آمنة : جزيت عني خيرا . . . لقد والله آنتنى وسرّيت عني .

قتيلة : بوركت يا بنت وهب . لئن فاتنى أن أكون أمّا ما فاتنى أن أكون  
أول عين تراه !

( ٢ )

[ فى الحجر عند الكعبة . يرى عبد المطلب جالسا وحده ]

[ يدخل المغيرة المخزومي ووائل السهمي ]

المغيرة : ذاك عبد المطلب جالسا وحده . . هلم يا وائل نجلس إليه .

وائل : ماذا نصنع عنده يا مغيرة ؟ إنه لم يزل محزوننا على ابنه عبد الله كأن لم يمت  
لأحد قبله ولد !

المغيرة : صدقت دعنا ننتح بعيداً عنه لتتحدث في شؤوننا . انظر : ذاك ابنه  
أبو طالب قد أقبل إليه !

وائل : دعه يواسى أباه الشيخ ! [ يتعدان ] .

أبو طالب : عم صباحا يا أبي . . أنت هنا وحدك ؟

عبد المطلب : أجل يا بني .

أبو طالب : وتدمع عيناك ؟

عبد المطلب : وملك هل يرانى أحد من قريش ؟

أبو طالب : لا يا أبت إنهم بمعزل عنك . وهبهم رأوك فما شأنهم بك ؟

عبد المطلب : كلا يا بني لا أحب أن يروا جزعى فطالما لاموني في عبد الله . إنهم

يا عبد العزى لقساة القلوب .

أبو طالب : وإنك في الحق ملموم بعض اللوم .

عبد المطلب : وملك يا عبد العزى لا أرينك قاسياً مثلهم .

أبو طالب : كلا ما بي من قسوة ، بيد أن عبد الله أخى قد مضى ولن يعود وقد حال

الحول على وفاته أو كاد فيلام الحزن والبكاء عليه ؟

عبد المطلب : ويحك يا بني إن حزنى عليه ليتجدد في قلبي كل يوم .

أبو طالب : لئن ذهب عبد الله لقد بقى سائر ولدك وكلهم ساعد لك وعضد ولن يقوم

لك عبد الله بشيء لا تقوم به نحن لك .

عبد المطلب : آه يا عبد العزى والله ما معونة عبد الله بالذى افتقدت ، وإلا لكان

لى فيكم عنه العوض . فما كان عبد الله بأقوى منكم ولا أنهض بالجلّى .

ولكن لعبد الله عندى شأننا ليس من شؤون هذا العيش الذى نعدو

فيه ونروح .

أبو طالب : ماذا تعنى يا أبي ؟

عبد المطلب : ماذا أشرح لك يا عبد العزى من أمور شهدتها أنت بعينك وكنت جديراً

أن تفقهها بنفسك ؟ ألم تر كيف فدى عبد الله بالإبل المائة ؟

أبو طالب : بلى .

عبد المطلب : ألم تر كيف تزوج آمنة بنت وهب ولم يقض معها إلا قليلا ؟

أبو طالب : بلى

عبد المطلب : وكيف سافر السفرة التي سافرها فلم يعد منها ؟

أبو طالب : بلى

عبد المطلب : فلأمر ما فدى عبد الله ليعيش ، ثم لأمر ما سافر بعد زواجه وشيكا ليموت !

دع عنك تلك الآية التي شهدناها منذ شهرين كيف رد الله عنا صاحب

الفيل فأهلكه وجيشه بتلك الطير الأبايل !

أبو طالب : صدقت يا أبت إن لهذا كله أشأنا وإنه لحرى أن يعزيك عن كل هالك .

وعسى أن تجيء آمنة بسلام يكون أحب إليك وأفضل لك من أيه .

عبد المطلب : أى والله إن جاءت بسلام فلائمينه محمداً . . محمد بن عبد الله

ابن عبد المطلب !

أبو طالب : انظر ! هذه بركة يا أبني . . جارية آمنة !

عبد المطلب : بركة ! هلمى يا بركة ! ماذا وراءك ؟

بركة : أبشر يا سيدى . مولاتى آمنة جاءت بك بسلام !

عبد المطلب : [ هاتفاً ] اللهم لك الحمد يا رب الحمد !

( ٣ )

[ فى بيت آمنة ]

أم العاص : أرىنى يا شفاء أنظر إليه !

الشفاء : قد رأيته يا أم العاص فحسبك !

أم العاص : أشتهى أن أتملى برؤيته . يا له من غلام جميل لم تر عيني مثله قط !

قتيلة : [ تتمم ] هذا هو ! عذا هو !

أم العاص : عجباً لقد خرج نظيفاً كما يخرج السخل ما به من قدر !

قتيلة : هذا هو . . هذا هو !

الشفاء : تنحى عنه قليلا يا أم العاص

أم العاص : انظرى . . إنه مكحول ثم انظرى . . إنه مختون !

قتيلة : هذا هو . . هذا هو !

أم العاص : عجباً . . إنه شاخص يبصره إلى السماء .

قتيلة : هذا هو !

أم العاص : هو ماذا يا قتيلة ؟

قتيلة : النبي المنتظر

المرأتان : النبي المنتظر ؟

قتيلة : نعم ألم تريا ذلك النور الذي خرج معه ؟

الشفاء : بلى لقد كاد يخطف بصرى

أم العاص : وأنا نظرت إلى السماء ساعتئذ فرأيت قد أضاء ما بين المشرق والمغرب

الشفاء : آمنة ! ما بالك صامته يا آمنة ؟ ألم تسمى ما تقول قتيلة ؟

آمنة : بلى قد سمعت

الشفاء : فما خطبك ؟ هل من وجع ؟

آمنة : كلا لا وجع البتة . . أين بركة ؟

الشفاء : انطلقت لتبشر أباه

آمنة : [ فى شىء من الأسى ] أباه ؟

الشفاء : أجل . . أباه عبد المطلب

آمنة : حقاً إن عبد المطلب لأبوه ونعم الأب الكريم

أم العاص : هاهو ذا قد أقبل !

عبد المطلب : [ يدخل ] كيف أنت يا آمنة ؟

آمنة : بخير يا عماء

عبد المطلب : [ فى فرح ] ابنى ! هذا ابنى ! يا بشرى بمحمد !

آمنة : محمد ؟

عبد المطلب : أجل قد سميت محمدًا يا آمنة

آمنة : لكنى أمرت بأن أسميه أحمد

عبد المطلب : الهاتف أمرك بذلك ؟

آمنة : نعم  
 عبد المطلب : فهو أحمد وهو محمد : أحمد عند الله ومحمد في الناس . هل لي أن أحمله يا شفاء؟  
 الشفاء : افعل يا أبا الحارث على أن ترفق به  
 عبد المطلب : [ يحمله ] انظري يا آمنة . . إنه يحبني ويتعلق بي ! والله لأحملنه الساعة  
 إلى الكعبة فلا أدعون له الله أن يجعله مباركا  
 الشفاء : أرفق به يا عبد المطلب  
 عبد المطلب : ويحك يا شفاء إنه ابني وحبيبي وإنه لصاحب الشأن ، لن تراعى يا آمنة ..  
 سأعود به وشيكا [ يخرج ]  
 قتيلة : عجباً . . إن عبد المطلب ليعلم أمره . لأنطلقن الساعة إلى ورقة أخى  
 فليفرحن بالبشارة

( ٤ )

[ في الحجر عند الكعبة ]

[ ورقة بن نوفل يسعى خلف عبد المطلب ]

ورقة : مهلا يا أبا الحارث يا عبد المطلب !  
 عبد المطلب : من ؟ [ يلتفت ] ورقة بن نوفل . . هلم هنئني يا ورقة !  
 ورقة : [ يدنو منه ] أهنتك وحدك ؟ إني أهنيء جميع أهل الأرض !  
 عبد المطلب : بأي شيء يا ورقة ؟  
 ورقة : بهذا الغلام الذي تحمله .  
 عبد المطلب : إنه ابني يا ورقة . . ابن عبد الله . . ابن آمنة بنت وهب  
 ورقة : أجل . . أرني يا أبا الحارث أنظر إليه  
 عبد المطلب : انظر . . ما أجمله ! ما أروع ! ما أودعه !  
 ورقة : أجل إنه هو . . والله ليكونن لابنك هذا شأن . إلى أين تمضي به  
 يا أبا الحارث ؟  
 عبد المطلب : إلى جوف الكعبة . . اسبقنا يا عبد العزى فافتح لنا باب الكعبة .



أبو طالب : حباً يا أبت وكرامة . [ ينطلق نحو باب الكعبة ] .  
ورقة : كلا يا أبا الحارث لا تفعل .

عبد المطلب : ويلك يا ابن نوفل أترأ بالكعبة عن ابني ؟

ورقة : كلا يا عبد المطلب بل أربأ بابنك هذا عما في جوفها من الأوثان .  
عبد المطلب : دعني من هذا أيها الصابي عن دين آبائك . والله لأدخلنَّ به الكعبة  
فلا دعون الله له في جوفها .

ورقة : ادع الله له هنا في ظاهرها يا أبا الحارث .

عبد المطلب : والله لا أدعو له إلا في جوفها ! ما بالك ارتددت يا عبد العزى ؟ ما خطبك ؟  
أبو طالب : أمر مهول يا أبت .

عبد المطلب : ماذا حدث ؟

أبو طالب : الأرباب يا أبت . الأرباب .

عبد المطلب : ما بالها ؟

أبو طالب : جائية على وجوهها جميعاً في الأرض !

عبد المطلب : حتى هبل ؟

أبو طالب : حتى هبل !

عبد المطلب : وى ما سمعت كالروم عجباً !

ورقة : لا تعجب يا عبد المطلب . فهذا الذي تحمله هو عدوها جميعاً .

عبد المطلب : دعني من أساطيرك يا ابن نوفل . [ لأبي طالب ] اعد لها يا بني أو اعدل  
هبل وحده قبل أن ندخل .

أبو طالب : سأفعل يا أبي .

ورقة : يا ابن هاشم اسمع نصحي .. لا ينبغي لك أن تدخل بهذا الغلام إلى حيث الأوثان .

عبد المطلب : مهلاً يا ورقة دعني وشأني .

أبو طالب : [ يظهر على باب الكعبة ] قد عدلته يا أبت .. عدلت هبل وحده .

عبد المطلب : أحسنت [ يدنو من الباب ] باسمك اللهم [ يدخل جوف الكعبة ] .  
[ يسمع صياح الغلام ]

أبو طالب : [ على الباب ] إنه يا أبت يضطرب ويصيح !

عبد المطلب : [ يسمع صوته ] عجباً قد كان هادئاً وديماً فما الذى أبكاه هنا ؟  
 أبو طالب : لعل الآلهة لا تريد ففى تعتريه بسوء !  
 عبد المطلب : [ صوته ] لا تكن يا بنى كورقة .. إن الآلهة لا تريد غيره .. هو  
 البركة وهو الآية وهو صاحب الشأن .

أبو طالب : فاخرج به من هنا فإن كفى عن بكائه علمنا أن الآلهة هى السبب .  
 عبد المطلب : [ صوته ] صدقت . [ يظهر خارجاً من جوف الكعبة ] عجباً لقد كفى  
 عن البكاء !

أبو طالب : انظر يا أبت .. إنه يضحك والدمع فى عينيه !  
 ورقة : ألم أقل لك يا أبا الحارث ؟

عبد المطلب : ويليكَ أنظن أن الآلهة كانت تؤذيه ؟  
 ورقة : كلا إنها لا تقدر أن تؤذى أحداً ولا جناح بعوضة ، ولكنه هو الذى  
 يكرهها ولا يطيق الوجود بينها ، والله يا عبد المطلب ، ورب هذه البنية  
 ليلفن أشده فليحطمن هذه الأصنام يوماً وليطهرن من رجسها الكعبة .  
 عبد المطلب : لكنى أريد أن أدعو له الله فى جوفها .

ورقة : نح هذه الأوثان إذا قبل ذلك ؟  
 عبد المطلب : ويليكَ ماذا تقول إذا قرئ عني ؟ صبأ عبد المطلب كما صبأ ورقة بن نوفل ؟  
 ورقة : إذن فادع له الله هنا خارجها إذا شئت .  
 عبد المطلب : أجل .. سأفعل . [ فى حنان وابتهاال ] .

الحمد لله الذى أعطانى هذا الغلام الطيب الأردان  
 أعينه بالبيت ذى الأركان من شر كل حاسد وشانى  
 أبو طالب : انظر يا أبى إلى الغلام . إنه يتسم متهللاً كأنه البدر ! إنه يتهل كأنما  
 يدعو معك !

عبد المطلب : أجل ما أجله وما أروع ! بأبى أنت وأمى يا بنى الحبيب !  
 ورقة : قد آن لكما أن تعيداه إلى حجر أمه .  
 عبد المطلب : أجل .. لعلها مشفقة عليه ، ولعله يريد أن يرضع . هيا يا عبد العزى  
 لتسلم معى على آمنة .

أبو طالب : اسبقني يا أبت وأنا آت على الأثر .

عبد المطلب : فيم يا بني ؟

أبو طالب : ينبغي أن أنصب هذه الآلهة أولاً وأقيمها في أماكنها ألا يراها أحد  
هكذا فيظن بنا الظنون .

عبد المطلب : أصبت يا بني . اسمع يا عبد العزى وأنت يا ابن نوفل إيا كما أن تحدثنا  
قريشاً بما وقع لهبل والآلهة الأخرى فلن تصدق قريش ذلك إلا أن تظن  
أننا نحن الذين فعلنا بها ذلك .

ورقة : أجل يا عبد المطلب علينا أن نسكن هذا السر من أجل سلامة الغلام .

عبد المطلب : جُزيت خيراً يا ابن نوفل !

ورقة : عما قريب ترى قريش ما ترى ، وتسمع قريش ما تسمع ؛ فطوبى يومئذ لمن  
آمن به ، وويل يومئذ لمن عاند وكفر .

عبد المطلب : ويحك يا ورقة أو يكون لابني كل هذا الشأن ؟

ورقة : أجل كأنني به يخرج قومه من هذا البلد فلا يزداد أمره إلا علواً وانتشاراً .

عبد المطلب : بأبي هو وأمي أو نخرجوه هم يا ورقة ؟

ورقة : إى والله مثلاً أنطق الساعة يا عبد المطلب ، فلئن عشت حتى يدركني يومه  
لأنصرنه نصراً مؤزراً .

عبد المطلب : بوركت يا ورقة لقد والله زدتنى مسرة على مسرة بيد أنك جعلتنى  
أشفق عليه من قريش .

ورقة : إنه ابن اسماعيل ودعوة إبراهيم وإن رب إبراهيم وإسماعيل لكالثه وحافظه .

عبد المطلب : وقريش يا ورقة ؟

ورقة : دعك من قريش ! سيأتى على الناس يوم يا عبد المطلب تذهب فيه قريش  
ولا يبقى لها من ذكر إلا أنها كانت يوماً ما عشيرة هذا الغلام .

# حول السياسات الاقتصادية

للأستاذ عيسى عبده إبراهيم

أستاذ إدارة الأعمال بكلية التجارة بجامعة إبراهيم

( ٣ )

بينما فيما تقدم ، أن عمل المقرض هو الانتظار ، والناس تعمل جاهدة ومخاطرة ، وقلنا بأن المعاملات الربوية قد وافقت خطط الاستثمار الغربي لشعوب الشرق وأراضيه ، وبالتالي كانت هذه المعاملات من أدوات الاستثمار ، وفيما يلي حلقة ثالثة من هذا الحديث .

## قرض الاستهلاك :

يمقد قرض الاستهلاك لمصلحة مدين موعوز ، لا تفي موارده لمواجهة التزامات عاجلة شديدة الإلحاح عليه ، كإيقاظ ولده من مرض طارئ ، أو درء خطر يشهد إذا طال السكوت عليه ، وليس في قرض الاستهلاك فكرة التثمين والإبقاء . وهكذا لا ينصرف ما تقدم من قول في الحديثين السابقين إلى هذا النوع من القروض .

والمفروض أن الدين الذي يمقد قرض الاستهلاك ضعيف بموارده ، وضعيف بزيادة حاجاته على دخله المحدود ، ومن أجل ذلك يكاد يتفق الكتاب على تحريم الفائدة على هذا النوع من القروض .

وظاهر بجلاء أن الدافع إلى اعتناق هذا الرأي ، هو دافع إنساني ، يأبى على المصلح الاجتماعي أن يسمح للقوى باعتصار الضعيف واستغلاله .

ومن هنا نشأت فكرة القرض الحسن ، وأقيمت لتنفيذها المؤسسات ، وانعقد الإجماع — أو كاد — على استحسان هذا النوع من التراحم بين الناس .

أما أن يكون للقرض الحسن أساس علمي ، فمسألة فيها نظر .

التسمية في ذاتها لا تخلو من الجرأة ، فالأصل في القرض الحسن أن يكون بأصوله وفروعه للمصلحة العامة كتجهيز حملة تدرأ الطغيان عن مقدساتنا وتراثنا ، أو لمصلحة

طائفة من الناس حلت بها قارعة ، وكان بين المقرض والمستفيد وشيجة من الدين أو عهد وميثاق .

ومن المتفق عليه أن المقرض في هذه الحالة يستهدف الثواب من الله عز وجل ، ولا ينظر في عمله إلى غير ذلك من الاعتبارات ، ولا يكاد الباحث يقع على فروق تميز القرض الحسن عن الصدقة وما في حكمها من مال ينفقه صاحبه سرّاً وعلانية ، ابتغاء مرضاة الله ، ولا يشترط المقرض هنا ، بل لا يتوقع أصلاً ، استعادة ماله فضلاً عن الحصول على ثمرته .

سيقول التشيعيون لمؤسسات القرض الحسن بأنها تنطوي على صدقة جزئية تتمثل في إغاثة الملهوف ، دون إئصال كاهله بأكلاف القرض وتوابعه . وهذا صحيح ، ولكن التمييز بين القروض على أساس الاستهلاك والتميز ، وإن كان صادراً عن نية حسنة ، يفتح علينا باباً من الجدل العقيم ، ويسلمنا إلى الوقوف عند قروض الاستغلال لتأمل في إمكان الوصول إلى ( محلل ) يُبيح اقتضاء الفائدة عليها . . . هذا التمييز بين قرض الاستهلاك وقرض التجارة أو الصناعة ، يباعد بيننا وبين الحكمة الواحدة الشاملة التي من أجلها جاء الحكم الصريح القاطع بتحريم الربا ، في إيجاز وفي حزم ، كقوله تعالى : « يحق الله الربا ويربى الصدقات » . . . هذه الصياغة الحاسمة ، الجامعة المانعة ، لا تسمح لمن اطمأن قلبه بالإسلام ، بأن يذهب في التأويل إلى حد القول بأن التحريم إنما ينصرف إلى فائدة قرض الاستهلاك أو إلى الربا المضعف ، أو إلى ربا الفضل ، وبالتالي يكون الرأي فيما عدا ذلك من أنواع القروض ، محلاً للاجتهاد ، في كل زمان بحسب ظروفه .

ولست فيما أذهب إليه من الرأي ، متشيعاً لمجرد وضوح الحكم ، وصياغته في عبارة قاطعة . وإنما سبيلي إلى الدفاع عن هذا الرأي ، هي تحليل الوقائع وربط المقدمات بالنتائج .

#### الحاجة إلى قروض الاستهلاك :

أصبح أن الأمة الإسلامية يجوز أن يتفشى فيها هذا البلاء المعروف بقروض الاستهلاك ؟ أصبح أن الأمة الإسلامية ينبغي لها ما هي فيه من تفاوت أليم بين عامل



مكافح مكدود ، وبين ثراء فاحش عند طائفة من الناس ، أو مال وفير عند حاكم يتخذ من الحكم وسيلة إلى الإثراء ، فهو لا ينظر إلى أمور الناس وقد انتهت إليه ، على أنها أمانة يُسأل عنها ، بل ينظر إليها على أنها منافع ومغانم تؤول إليه مع حقه القدس ، مذ كان الناس ينظرون إلى توارث الحكم على أنه حق إلهي مكفول لقلة مسطرة على رقاب الناس . . . ؟ ؟

هذه الأوضاع التي تفشت في الشعوب الإسلامية حتى عرفت الفقر والدين على نحو شامل وخيف . . . وهذا الرضا الدليل ، بما أراده المستعمرون من شيوع أسباب الفساد والانحلال في شعوبنا ، لم يكن ولن يكون من الإسلام في شيء .

ومع ذلك لست أنكر بأن الأحداث قد تجري بما يخرج عن طوق البشر ، فتزل الحاجة المفاجئة بساحة الرجل ، ولا تترك له سبيلا إلا أن يقترض ، ولكن ليست هذه هي القاعدة العامة . فلنبداً إذن بالأصول والقواعد .

أما علاج الحالات الفردية الطارئة فأمره أهون من أن يتدخل في رسم السياسة العامة لقروض الاستهلاك ، إجازة أو تحريماً . . . هذا إذا أردنا أن نصف الأمة الإسلامية بما يتفق مع ما أريد لها من عزة وكرامة . . .

### حكمة الصوم في الإسلام :

لقد نظرت طويلاً فيما قال به الأولون والآخرون من منافع الصوم وحكمته ولم يقع لي بحث واحد يربط بين الصوم وتحريم الربا .

وعندى أن أكبر حكمة للصوم ، هي رياضة النفس على أن تعف وهي قادرة ، وتدريب الصائم على الحرمان من المتاع في ساعات طويلة يشد فيها إلحاح الجوع والعطش ، والزاد والماء بين يديه ، وما إلى الزاد والماء من متاع الدنيا متوافر لديه كذلك فيصرف النظر عامداً عن كل متاع ، وإن كان قريباً منه ، ميسراً له .

ومما يستوقف النظر حقاً أن الصوم قد شرع للمسلمين في شهر عربي يدور مع الفلك فإذا به طوراً يجيئ في الحر القاطئ وطوراً يجيئ في البرد القارس ، حتى إنه في ٣٣ عاماً هجرية يمر تدريجاً بالفصول الأربعة كلها . ومما يستوقف النظر أيضاً أن

هذه الحقبة من الزمن وهي ٣٣ عاماً تصل بسن الصبي المكلف إلى سن الرجولة الناضجة ؛ فالصائم الذي يتعود من سن مبكرة على الحرمان راضياً بما بين يديه ، ثم يألف هذا الحرمان في أجواء شتى من عام هجرى إلى عام تال ، لا يكاد يتخطى الأربعين من عمره إلا وقد مرت به تجارب الحرمان من الطيبات ، واطمأنت إليها نفسه فلم يعد غريباً عليه أن يكف عن إشباع حاجته وهو قادر على ذلك .

فلننظر إذن إلى حكمة الصوم في شهر رمضان ، صيفا وشتاء ، ولننظر فيما نحرمة على أنفسنا نزولاً على أحكام هذا الشرع المتين .

يرضى الصائم بالجوع والظمأ ، ويباعد بينه وبين أهله تأديباً ، ولست أريد الدخول في جدل يبيح أو يحرم التلطف إلى الزوجة وتقيلها ، أو التطيب مثلاً . بل أريد أن أفهم الصوم على أنه رياضة روحية عالية تخضع الدوافع النفسية جميعاً إلى إرادة الصائم . وعندى أنه أقرب إلى الأدب مع الله ، والكمال في الصوم أن يباعد المرء بين نفسه وبين كل طيبة ما دام صائماً حتى وإن لم يرد نص صريح فاطع .

ثم لننظر إلى هذه الدوافع النفسية ( أو الغرائز ) التي راضها الصائم وأخضعها لإرادته . . . نجد أنها أقوى الغرائز جميعاً ، قد راضها الصائم وتحكم — ولو بمقدار — في فورتها وفي هدوئها ، وأحل العقل منها محل القيادة ، تملى فتطاع ، تفكر القوة الماقلة وتدر ، ثم تأمر فتطيع الجوارح .

لست فيما أذهب إليه بمنكر أى شيء من الحكم العظيمة التي عكف على جمعها الباحثون وتوارثتها الأجيال في شأن الصوم واختيار شهر عربى بذاته ، هو شهر رمضان ، ولكنى لأرى أى تعارض بين هذه الإضافة التي أراها صحيحة وبين ما حفلت به المراجع من آثار علمية حسنة .

والآن ، أرى في الصوم مراناً على زهادة مقصودة وموقوتة ، في إشباع أشد

الحاجات إلحاحاً على النفس البشرية .

وبالتالى يتعين القول بأن المسلم الصحيح العقيدة ، الذى يصوم ويفقه حكمة الصوم ، يقدر على أن يكف عن إشباع حاجته وإن كان قادراً على المتاع العاجل

الناجز ، فكيف يجوز عقلاً أن نرى المسلم ضعيفاً متخاذلاً ، تستعبده أهواؤه وشهواته ، وتهاوى إرادته من فرط ما انحلت ، فيمتد بصره إلى طيبة لا يملكها ، فيقترض ثمنها ليستمتع عاجلاً ، بمال لم يدخل في حيازته ؟ كيف تستقيم المعاني وتلائم أجزاء الصورة الصادقة لتصرفات المسلم في معاشه ، إذا قلنا بأنه صحيح العقيدة ناجح في رياضته الروحية بالصوم . . . إذا قلنا بأنه قادر على ترك الشيء الذي يملكه ، وأن يعف عنه راضياً ، ثم قلنا في نفس الوقت بأنه ضعيف متهالك ، تذهب نفسه شعاعاً وراء ما يملكه غيره ، فيلتزم باقتراض ، ويرضى بالدين ، ليشبع بعض حاجته بمال لا يملكه .

إذا قلنا بشيء من ذلك ، فإننا ننكر المنطق ونحاول أن نلائم بين مفردات متنافرة ، لنؤلف منها صورة متجانسة . وهيئات .

### قروض الاستهلاك إذن ليست من الظواهر العامة في حياة أمة مسلمة .

والعكس أقرب إلى المنطق السليم ، ذلك أن الأمة الإسلامية تتألف من رجال يصبرون على استهلاك ما بين أيديهم ، فهم إذن أجدر وأقدر على أن يصبروا عما لا يملكون . وإن صبرهم عن استهلاك ما عندهم يمهّد للادخار ، والتمهير ، وإثراء الثروة وحيازة القوة المادية لتسخيرها في صيانة المقدسات .

فإذا كان المسلمون قد غفلوا عن حكمة الصوم وظنوه جوعاً على مضض ، وإذا كان أحدهم يخرج من داره وهو صائم ، ليشتري بعض حاجته بالأجل أو بارتهاق بعض أمواله الثابتة ، التي تعينه في تجارته أو في صناعته . . . فقد جهل المقترض ، وما قصرت الشريعة في شيء .

أقول ، وأكرر القول بأن الحكمة من تحريم الربا في كل صورة ، لقروض التمهير ولقروض الاستهلاك جميعاً ، ولأية صورة مستحدثة أو قد تستحدث ، تتمصل بأصول ثابتة لا تزيد على كثرة الأخذ والرد إلا جلاء ووضوحاً .

هذا الحكم الذي جاء به القرآن العظيم من ثلاثة عشر قرناً أو تزيد ، قد كان صحيحاً دائماً ، وقد كان فيه صلاح الأمة التي تأخذ به ، لو أنها فعلت .

لقد كان تهافت الأفراد على إشباع حاجتهم العاجلة ، وارتهاقهم الثابت والمنقول لإرضاء نزوات تافهة عارضة ، سبباً مباشراً في هيمنة المراهين على موارد الثروة ومنابع الأرزاق . . . غرق الحكام في الديون والفوائد ، وتابعهم المحكومون في هذا السفه ، فأنقلوا أعباءهم بما هو أشد وأقسى . فلزراع مرتهنة ، والمقار كذلك من أجل متاع عاجل . والدائن يتخذ من دينه حجة وذريعة ، ليتحكم في أموال المدين ، وحين يكون الشعب ، من قاداته وساسته إلى جماهيره الساذجة ، قد وقع في ديون شخصية ، وأقساط شهرية ، وتموّد على مد البصر إلى ما لا يملك في يومه فلمن تكون الغلبة في الأرض ؟ للدائن أم للمدين ؟ ولمن يكون الحكم في البلاد حتى وإن كانت محسوبة على الإسلام بالتوارث في غير وعي ولا رشاد ؟

ليس عجيباً أن تكون الكلمة العليا في عصرنا هذا ، في كل بلد عربي وإسلامي ، لمن لا يؤمن بالله ولا يقيم حدوده ، لأننا رضينا بالمقدمات ، فكيف تدهشنا النتائج ؟

قروض الاستهلاك إذن ، لا تتفشى في أمة إسلامية ، وإنما تزدهر في ظل أحكام الشريعة المدخرات النشطة النامية . وكل تيسير لقروض الاستهلاك ، يعتبر علاجاً للداء الاستهلاكي بالمسكنات ، التي تخنجر الأعصاب فلا تشعر بالألم . وعندى أن الإعلام هنا خير ، لأنه ينبه القوة العاقلة ، لعلها تدبر أمراً يقضى على أصل الداء .

( الحديث موصول )

### السخاء

ليس السخاء بذل الأموال حيث اتفق ، لكن بذلها كما ينبغي ، وحيث ينبغي ، بالمقدار الذي ينبغي على سبيل الاعتدال اللائق بحال طبقة طبقة من الناس .  
« أبو نصر الفارابي »

# الغزالي المفكر جامع

للأستاذ الدكتور رضا زاده شفق

أستاذ الفلسفة بجامعة طهران والثقافة الإسلامية بجامعة كولومبيا بنيويورك

في أواخر القرن الأول للهجرة ( الثامن بعد الميلاد ) قام دين الإسلام يفتح لأول مرة في التاريخ أبواب مرا كنهه الفكرية كبنفداد ودمشق للعلوم والمعرفة ، فلقد دأب المسلمون على تحصيل علوم الأقدمين وتراثهم ، ونقلت فلسفة اليونان إلى العربية ، وبعد ذلك بقليل أسست الجامعات كالنظامية في بنفداد التي أصبحت قدوة تحذو حذوها الجامعات الأوروبية . وقد كانت حرية الأبحاث والمناقشات في الشؤون العلمية والدينية تلقى التشجيع والمؤازرة في أوائل العصر العباسي ببغداد .

ويقول العلماء الغربيون أمثال دوبر ، وأرنولد ، وهورتن ، وبراون ، ونكسون إن فلاسفة المسلمين وإن لم يضيفوا فكراً أصيلاً إلى فلسفة الإغريق الذين سبقوهم ، إلا أنهم أدوا عملاً جليلاً يتمثل في كونه أول محاولة لاستيعاب نتاج الفكر اليوناني « بمزيد من الشمول والحرية » — ( دوبر ) . ( Comperhensiveness of freedom : De Boer )

وهناك ظاهرة أخرى تنسم بها الفلسفة الإسلامية أشار إليها أرنولد وغيره ألا وهي قدرتها على الانتقاء من العقائد الفلسفية المتنوعة . وتتوافر البراهين على أن الفيلسوف العظيم الفارابي حاول التوفيق بين أفلاطون وأرسطو مثلاً ، كما أنه حاول الجمع بين الأفلاطونية ، والأفلاطونية الجديدة .

أما فيما يتعلق بالنصوف فمن المؤكد أن الصوفية الإسلامية تتميز بطابع خاص وعلى الأخص كما تبدو في الأدب الفارسي . ولقد أسفر مبدأ التلثيم في الفكر الإسلامي ، على الوجه الذي ذهب إليه الإمام الغزالي وغيره ، إلى نتائج قيمة في تطور الفكر الإسلامي . وسأوضح ذلك بإيجاز فيما يتعلق بالغزالي :

لقد جابه الغزالي المذاهب الفكرية الرئيسية السائدة في العالم الإسلامي في زمنه —



أى القرن الحادى عشر - ودأب على دراسة كل منها دراسة دقيقة نفاذة .  
وقد توصل بما أوتى من نظرة محيطية ثاقبة إلى توفيق باهر بينها . وفيما يلى بعض  
نواحي ذلك التوفيق .

١ - كان الإمام الغزالي حجة فى « علم الكلام » وفى « علم الأصول » ،  
ولكنه لم يكن يؤمن بأن الجدل المنطقى الحاذق فى أمر العقائد الدينية كافياً للهداية  
إلى الإيمان ؛ فالجاذبات النظرية المنطقية بالنسبة إليه إجراءات دفاعية غير مقنعة ،  
أما الدين فى نظره فكان أشمل من مجرد الجدل المنطقى .

٢ - كان الإمام الغزالي يأخذ بسنن الأولين وجلة التابعين من أئمة المسلمين ،  
يبد أنه كان ينفر من التقليد الأعمى ويدعو كل من يسعى جاداً وراء الحقيقة إلى  
البحث المجرد المستقل ؛ فالمعرفة الحقيقية فى نظره لا تؤتى بمجرد المطالعة والدراسة  
أو الخضوع المستكين لأراء الآخرين . وحتى الفلسفة نفسها التى تقوم كلياً على النظرة  
العقلية فى الإنسان لأعجز من أن توفر لنا جواباً شافياً على مسائل الوجود الأساسية .  
فلا بد من تعاون بين التفكير المتعمق والتجارب الروحية والشهود لرفعنا إلى مرتبة  
الحقيقة . والواقع أن هذا النوع من المعرفة يشبه النور الذى يبعثه الله فى قلب من  
يشاء من طلاب الحقيقة المخلصين فى السعى وراءها ؛ والعلم نور يقذفه الله فى قلب  
من يشاء .

٣ - كان الإمام الغزالي ورعاً شديداً الإيمان ضابط النفس ، يمارض الانغماس  
فى ملذات الحياة الدنيا إذا كانت إلى درجة الإفراط التى تلهى الإنسان عن الآخرة .  
ولكنه فى الوقت ذاته كان ينكر حياة النقشف ولا يرى أى تعارض بين مباحج هذه  
الحياة الدنيا ( عالم الملك ) والحياة الروحية ( عالم الملكوت ) فالحقيقة فى نظر الغزالي  
كامنة فى هذين العالمين ؛ بل لقد كان فى نظره « المعرفة » يرى العالمين عالماً واحداً  
أحدهما مظهر خارجى للآخر ، كزجاجة شفافة امتلأت بنخمر فلم يعد من الممكن  
التمييز بينهما :

رق الزجاج وراقت الخمر      وتشابهها فتشاكل الأمر  
فكأنها خمر بلا قدح      وكأنها قدح بلا خمر

٤ - كان الإمام الغزالي مع إيمانه التام بأوامر القرآن الكريم والسنة يؤيد الفتوى « بالقياس » و « رأى » و « الإجماع » في استنباط الأحكام الشرعية ، ويعتبر الأخذ بهذه الأدلة شرطاً أساسياً لتطور المجتمع الإسلامى تطوراً يسائر حاجات الزمن .

٥ - هذه الجهود التوفيقية التى تبرز كل هذا البروز فى تعاليم الإمام الغزالي إن هى إلا ثمرة الحياة الروحية التى كانت تجيش فى نفسه ؛ فالدين بالنسبة للغزالي يتمثل فى تجارب الإنسان الروحية . إنه عبارة عن تقرب ومراقبة للخالق جل شأنه عن طريق الإلهام الوجدانى لا بواسطة الطقوس الدينية أو المجادلات المنطقية إثباتاً ونفيّاً ؛ فالعقيدة الدينية يجب أن تركز إلى الإيمان والإخلاص والصدق .

٦ - مثل هذا الوجدان الروحى الباطنى هو الذى يدفع إلى عمل الصالحات والخدمة النافعة المجردة : « الذين آمنوا وعملوا الصالحات » .

٧ - ولا حاجة إلى القول بأن الوعظ دون العمل الطيب لا معنى له . فما يدعو إلى الرثاء أمر أولئك الذين هم على بينة من تعاليم دينهم ويعظون غيرهم بها بيد أنهم يفتقرون إلى جذوة الإيمان الحقيقى التى تتألق فى ميدان العمل ؛ فمثل الذين يعظون ولا يعملون كمثل ملح فاسد أريد به درء التعفن .

يا معشر الوعاظ يا ملح البلد ما يُلصَح الملح إذا الملح فسد

وختاماً يمكننا القول بأن هذا الإمام المسلم العظيم قد استطاع لا مجرد التوفيق بين المذاهب المتباينة فحسب ، وإنما أثبت بفضل إيمانه وسيرته وتعاليمه بأن الحياة الدينية تتمثل فى تجارب الإنسان الذاتية الروحية إلى جانب التضحية وعمل الطيبات وفق ما تستدعى حاجات الزمن .

أولى الناس بالله أشدهم تولياً له

« أبو بكر الصديق »

# إِنَّ بَيْنَكُمْ عَلِيًّا حَقًّا

بإشراف الأمير لاي الدكتور أحمد الناقه

س ١ : طالب ثانوى يشكو قبل الامتحان الصداع والحمول والضعف والسيان .  
ج ١ : هذه علامات « رهبة الامتحان » لا ضعف البدن أو العقل . وهى دليل  
قلة الثقة بالنفس وقلة تحصيل الدرس . والعلاج اكتساب الثقة بالنفس بواسطة الرياضة  
والتدريب العسكرى والمثابرة على المذاكرة مع بعض الرفاق تثبيتاً للدرس . ولا حاجة  
لطب أو دواء .

\*\*\*

س ٢ : دوستاريا مزمنة لم يفلح فيها دواء أو غذاء ولم تعالج بحقن الإمتين  
لضعف المريض .

ج ٢ : يجب إعادة الفحص الطبى لتحديد نوع الجراثيم أو الطفيليات المسببة  
للمرض ، ثم وصف الدواء المناسب حتى الإمتين إذا لزم ، فإن لم يسفر تكرار الفحص  
عن سبب اتجه البحث إلى اضطراب الغدد أو العوامل النفسية ؛ وإلاّ وجب دخول  
مستشفى كبير يتيسر فيه الفحص الكامل بالمنظار الشرجى والأبحاث الحاسمة  
للتشخيص والعلاج على أيدي المختصين .

\*\*\*

س ٣ : عروس دمشقية يدور رأسها ويضطرب نفسها ويرتجف جسدها وتتوتر  
بعض عضلاتها منذ ليلة الزفاف كلما خلت إلى زوجها وبخاصة أول الليل . عولجت  
بالأدوية والتنويم المغناطيسى ونحوها فلم تستفد . وما زالت بكرا .

ج ٣ : يبدو أن العروس ضعيفة الأعصاب مرهفة الإحساس ، كبر في خيالها الخوف  
من فضّ البكارة حتى أحدث تلك النوبات . ويبدو كذلك أن الزوج رجل خشن فيه  
غلظة تفزع الزوجة ، أو ضعيف لا يستطيع أن يملك زمام عواطفها ومشاعرها ،  
أو ساذج لا يحسن الملاعبة قبل المباشرة ، أو فيه عيب أو علة منفرة . ولا يجدى

الدواء ، ولكن يجدى العمل برأى الشيوخ من ذوى القربى والفضل والمعرفة وإرشادهم إلى حسن المعاشرة ولطف المباشرة .

ولو أن الوالدين والعلمين تدرجوا بالحديث مع النشء في أمور التناسل بصراحة وحسن تقدير لأقوى الفرائض وأقدسها لقضوا على ذلك النموض الخفيف والظلام الذى يخلق الأوهام ويحير الشباب ويرهقه ، ولجعلوا التناسل من أعظم النعم التى تسر النفس وتصون الجنس .

\*\*\*

س ٤ : طالب علم من القدس أصابه مرض الصرع منذ سنين . ما العلاج وهل تفيد الصدمات الكهربائية وهل يواصل الدرس ؟

ج ٤ : الصرع مرض عصبى مزمن يتحسن تدريجياً باستعمال الأدوية المهدئة والاعتدال فى المأكل والمشرب والمعيشة الراضية التى لا ترهق البدن ولا تقلق البال . وربما أفادت الصدمات الكهربائية بعض المرضى . ويستطيع أن يستمر فى طلب العلم بغير إجهاد .

\*\*\*

س ٥ : باسور ينزف عند التبرز . ما السبب وما العلاج بلا جراحة وما ضرر ترك العلاج ؟

ج ٥ : السبب الإمساك . وعلاجه : ما نيزيا . برافين ونحوها . وقد تنفع الحقن الموضعية فى علاج بعض أنواع الباسور . ولكن إذا تكررت التشقق والنزف لزمّت الجراحة . وترك العلاج قد يسبب النزف المتكرر والضعف العام والالتهاب والتقيح والباسور . وكلما طال الإهمال صعب العلاج حتى بالجراحة .

\*\*\*

س ٦ : عين لم تصب بمرض ، وترى الأشياء البعيدة والقريبة ولكنها لا تميز الحروف .

ج ٦ : فحص العين واستعمال النظارة المناسبة يكفل تمييز الحروف .

\*\*\*

س ٧ : رضيع يتبرز مرة كل أسبوع برازاً قليلاً طرياً وهو مع ذلك بادى الصحة فهل يعالج بالمسهلات ؟

ج ٧ : لعل لبن الأم لا يترك في الأمعاء من الفضلات ما يكفي لتكوين براز يومي ، فإذا زيد الطعام بمرق اللحم والخضر فقد يزيد البراز بغير حاجة إلى المسهلات التي لا تخلو من الأذى .

\*\*\*

س ٨ : هل من دواء للشيب المبكر ؟ غذاء أو فيتامين أو خلاصة الغدد أو أشعة أو كهرباء .

ج ٨ : لا ينفع شيء من هذا . وفي الصبغة المناسبة ما يستر المشيب لمن أراد .

\*\*\*

س ٩ : هل تضر مغالطة الكلاب والقطط والأرانب والدجاج والحيوانات الأخرى ؟

ج ٩ : نعم إلا إذا كانت محل فحص وتحليل ورعاية بيطرية دائمة ، وهو أمر مازال بعيد النال في بلاد يفتقر أهلها إلى الرعاية الطبية . وهذه بعض أوجه الضرر : جرثومة الدرن في بصاق الكلب وجراثيم أخرى في بوله تضر الكبد والدم ، وطفيليات في برازها تصيب الأمعاء وفطريات تصيب الجلد وحشرة الجرب . هذا فضلاً عن جراثيم أخرى قد تسبب أمراضاً وحميات شتى . ولعل ذلك هو سر نجاسة هذه الحيوانات عند البعض .

\*\*\*

س ١٠ : ما هو التطعيم الواقي اللازم لمن ينوى الحج أو السفر إلى خارج البلاد .

ج ١٠ : طعم التيفود والكوليرا والجدرى لمن أراد الحج . ثم الحمى الصفراء لمن شاء أن يمر بالسودان ووسط أفريقيا وأمريكا الجنوبية .

\*\*\*

س ١١ : ممرضة تعنى بمريضة مصابة بشلل الأطفال هل يخشى عليها وعلى مخالطيها من العدوى ؟ .

ج ١١ : نسبة المرض في المشتغلين بمهنة الطب والمريض أقل منها بقية في الناس ، ولم يعرف أنهم نقلوا المرض إلى أهلهم ومخالطيهم .

\*\*\*

س ١٢ : صبي مصاب بالتهاب الجلد المزمن لم يقلح فيه دواء . هل من علاج حديث ؟

ج ١٢ : لعل الصبي ذو طبيعة ونفس حساسة من أثر الوراثة والبيئة . وقد



تضره بعض الأطعمة ، وقد يكون الجلد كثير الحساسية إذا تعرض لعوامل الجو وتغير الحرارة والملبس الخشن والماء والصابون وغير ذلك مما يلهب الجلد الحساس . وعلى ضوء هذه العوامل يجب العلاج بالحزم والنظام الدقيق والمهدئات العامة والمسكنات الجلدية بإشراف الطبيب المختص .

\*\*\*

س ١٣ : هل صحيح ما يقال عن شدة تعرض الإنسان فترة من الوقت للعدوى بعد التطعيم الواقي من التيفود مباشرة . وهل الوقاية تامة ؟  
ج ١٣ : لم يثبت ذلك . والتطعيم لا يقي وقاية تامة ؛ فلا بد من اتباع قواعد الصحة والنظافة رغم التطعيم .

\*\*\*

س ١٤ : فتى تظهر على ساقيه بقع حمراء مؤلمة . ماهي ؟ وما العلاج ؟  
ج ١٤ : قد تكون من علامات التدرن فيجب الفحص الطبي . وقد تكون من أثر جراثيم صديدية إذا كان سببها التهاب الحلق قبل أسبوع أو يزيد . وهنا فيفيد البنسلين .

\*\*\*

س ١٥ : فشا استعمال نظارات الشمس فهل هي مفيدة للنظر ؟  
ج ١٥ : خير للعين المجردة أن تمتد الضوء إلا إذا كان شديداً جداً عند البحر وفي الصحراء وفوق الجبال أو في مواجهة الشمس مدة طويلة فيحسن استعمالها .

\*\*\*

س ١٦ : إمساك مزمن استعصى على جميع المسهلات فما السبب وما العلاج ؟  
ج ١٦ : أكثره ناتج من ضعف الشرج عن قذف محتوياته بسبب سوء استعمال المسهلات وكثرتها . وإذن فيجب إبطال المسهلات تدريجياً وتناول طعام كثير الألياف والسوائل . ويجب التبرز على مهل في أوقات معلومة كل يوم حتى تنتظم الأمعاء ، وقد يعين على ذلك قليل من سائل البرافين ثلاث مرات يوميا ، وهذا علاج طويل الأمد يحتاج إلى الصبر والمثابرة . فإن لم يفد لزم استعمال المسهلات . والأملاح أقلها ضرراً لأنها تستبقى السوائل في الأمعاء دون أن تلهبها . ويحسن أن تؤخذ الأملاح بمقادير صغيرة : ملعقة مائتيا من ٣ — ٤ مرات يوميا مثلاً . أما المسهلات الأخرى فيمكن استعمالها عند الضرورة إذا احتملتها الأمعاء .

## بَابُ الْكِتَابِ : نَفْدٌ وَتَعْرِيفٌ \*

١ - آدم عليه السلام ، للأستاذ البهي الخولي ، مطبعة دار الكتاب العربي عام ١٩٥٢ ، ١٤٠ ص م

٢ - محمد رسول الإسلام ، للأستاذ عبد السميع المصري ، مكتبة النهضة عام ١٩٥٣ ، ١٣٩ ص م

١ - آدم عليه السلام

من الخير أن يتذكر الإنسان دائماً أصله الذي انحدر منه ، وهو سيدنا آدم أبو البشر ، ففي هذا تذكير له أيضاً بالبشرية عامة : في أصلها ، وتكوينها ، والغاية التي خلق الإنسان من أجلها . ولعل ذلك هو الغرض الذي هدف إليه صديقنا الفاضل مؤلف هذا الكتاب ، فقد أشار إليه في ص ٧ ، ٩ بوضوح .

وقصة خلق آدم ، كما وردت في التوراة والقرآن ، كانت ولا تزال محل اختلاف العلماء والمفسرين ، وذلك لما اشتملت عليه صراحة من خلقه من طين ، ونفخ الله فيه من روحه ، ومحاورة الملائكة لله جل وعلا حين اختاره خليفة في هذا العالم المحسوس وأمرهم بالسجود له . فمن المفسرين من السلميين وغير السلميين من قبل ، من جنح إلى تأويل ذلك كله ليتفق مع العقل والعلم كما يزعمون ، ومنهم من أجراه على ظاهره لعدم الضرورة إلى التأويل . وقد احتار الأستاذ بحق أن يكون من هذا الفريق ، وصرح بذلك في أكثر من موضع ، إذ يقول في صفحة ١١٢ مثلاً :

« ولقد قضى بعض الناس دهرًا يتأرجحون بين الشك في ذلك واليقين به ، ويميلون إلى تأويل تلك النصوص القرآنية تأويلاً لا ضرورة له ؛ إذ التأويل إنما

---

(\*) نشير هنا إلى أن الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى هو صاحب التعريف والنقد للكتاب الثلاثة التي عرض لها في العدد الماضي بتاريخ ذي الحجة سنة ١٣٧٢ .

يكون ضروريا حينما يتعارض النص مع حقيقة علمية ثابتة لا يتطرق الشك إلى صحتها بحال من الأحوال ، فإذا لم يكن هناك تعارض فمن الإثم أن نصرف الكلام عن مواضعه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله .

وإذا كانت هذه القصة هي قصة تكوين البشرية وغايتها ، واختيار آدم عليه السلام للخلافة في هذا العالم الأرضي مع وجود غيره من الجن والملائكة ، فقد أدار الكاتب الكلام على ثلاثة أبواب يسبقها تمهيد وتنتهى بخاتمة ، وعالج فيها جميعها مسائل عدة تدخل في الدين والفلسفة والاجتماع ، وأعان على ذلك كله ذهن للاح وعقل نافذ وطول مدارس وتعمق للقرآن العظيم .

فهو يبحث عن نشأة الحياة في الأرض التي استخلف الله تعالى آدم فيها ، وعن خلق آدم من الطين ، وهذا يدفعه إلى القول بأن العناصر التي تتكون منها قبضة من الطين هي نفسها التي تتكون منها بضمة من جسم الإنسان ( ص ١٥ - ١٦ ) وإن كنت أنا لا أدرى مبلغ الحق علميا في هذا القول ! كما يحاول بيان المراد من قوله تعالى : « ونفخت فيه من روحي » ( ص ١٧ - ١٩ ) ، ويقرر « أن تلك الروح تحيا في كيان الإنسان كائنا روحيا له حياة تخالف طبيعة حياة البدن » ( ص ٣٧ ) ، وكنا نود أن يقول مع سائر العلماء بأن الإنسان مركب من روح وجسم ولكل منهما خصائصه ، بدل هذا التعبير الذي قد يوهم التثليث في الإنسان !

واختيار آدم للخلافة من بين مخلوقات الله ، اقتضى المؤلف أن يبحث في الخصائص التي استحق من أجلها هذا الاختيار ، كما اقتضاه الكلام عن الكائنات الروحانية : الملائكة والجن ، وعن الملأ الأعلى بصفة عامة ؛ وعن مفاتيح الآفاق الملا ، بل عن مفاتيحها الأوحى وهو تقوى الله تعالى التي هي مفتاح أرزاق السماء ( ص ٤٨ - ٥٧ ) ، وهنا لا يغفل بيان أن التقوى باعتبارها مفتاح آلاء الله ونعمه لا تنافي وجوب الأخذ بالأسباب ( ص ٥١ - ٥٣ ) .

فإذا قدر الله تعالى أن يأكل آدم من الشجرة ، وأن يهبط من السماء إلى الأرض ، نرى صديقنا الأستاذ الكاتب يعقد الباب الثالث ليتكلم على أفق الغرائز ، أو على العالم البشري الذي انحط إليه أبو البشر ، وهنا يتكلم عن الطائفة الهامة من الغرائز

البشرية : غريزة الزوج ، وغريزة حب الخلود ، وغريزة الملك ، وغريزة التدين (ص ١١٦ - ١٢٦) ، وهي كما يقول : « غرائز أربع كبار يتفرع منها سائر ما يعرف للإنسان من غرائز فرعية وميول آخر ، ومن مجموعها يتألف ما نسميه جهاز الغرائز في الإنسان » .

وبعد أن تحدث عن دوران هذه الغرائز بين الفتنة والرشاد (ص ١٢٨ وما بعدها) أهمل الكتاب بخاتمته الطبيعة وهي ما كان من آدم وقد قضى عليه بالنزول إلى الأرض فعلا ، الأرض التي صارت له المأوى الجديد والمقام العتيد بعد أن فقد تجانسه مع الجنة . . .

وبعد ! فهذا كتاب قيم نشر معظم فصوله بمجلة « المسلمون » القراء ، ولا ريب أن القراء سيجدون فيه مجموعا ومزيدا بفصول أخرى متممة روحية ، وحقائق دينية وعلمية هم في حاجة شديدة إليها ، كما سيرون فيه خواطر نيرة ومنهجاً يحتذى في تفسير القرآن ولا سيما قصصه ، ولذلك نرجو أن يتاح للسيد الأستاذ أن يتم له ما اعتزمه من مواصلة الكتابة في القصص القرآني .

\*\*\*

## ٢ - محمد رسول الإسلام<sup>(١)</sup>

Mohammad The prophet of Islam

هذه ظاهرة لها دلالتها وتستحق التسجيل والنظر ، وهي صدور مؤلفات مختص بالرسول عليه السلام باللغات الأجنبية ، ذلك أن المسلمين الذين يتكلمون العربية ، وبقية صلاتهم بقراءة ما تيسر من القرآن ، يعرفون سيرة نبيهم عليه السلام لأنها جزء من معرفتهم لدينهم ، ولكن التأليف بلغة أجنبية عن سيرة الرسول ، إنما الغرض منه قبل كل شيء أن يتوجه إلى غير المسلمين بتعريف يحيطون منه بحياة الرسول الذي اختاره الله تعالى نبياً وهادياً للناس إلى دين الحق .

(١) تفضل بهذه الكلمة صديقي الأستاذ الدكتور أحمد فؤاد الأهواني ، لأن الكتاب بالإنجليزية وأنا لا أعرفها - موسى .

وقد ألف المستشرقون في القرن الماضي ، وقبل ذلك ، كتباً كثيرة تتعلق بالإسلام والقرآن والرسول ، ولكنها لم تكن تخلو من الهوى والتعصب المذموم ، فرموا الإسلام والمسلمين بمطاعن شتى هم منها براء . وهذا يرجع إما إلى الجهل ، وإما إلى سوء القصد . وانبرى كثير من جلة المسلمين للرد عليهم في ذلك الحين . ومن الخير أن نجد المسلمين أنفسهم ينهضون بعبء تعريف الأجانب حقيقة الإسلام ، فهم به أدرى . وهذا ما اضطلع به الأستاذ عبد السميع المصرى الذى درس فى كبرج حيث ألف هذه الرسالة اللطيفة ، دوّن فيها سيرة الرسول عليه السلام ، فى لغة إنجليزية سهلة ، وأجرى فيها السيرة كأنها قصة تستهوى القارئ وتشوقه إلى متابعتها . هذا مع عدم إغفال الدقة التاريخية ، إلى سمو الفكر ، وتصوير السيرة فى صورة عصرية تلائم التأليف الغربى الحديث .

ولسنا فى حاجة إلى بيان الفصول التى كتبها ، لأنها معروفة لكل مسلم ؛ فهو يبدأ بمولده عليه السلام ، وطفولته ، ثم كيف أصبح يتيماً وكفله عمه ، ثم زواجه من السيدة خديجة وأثر هذا الزواج فى نفسه . ويقف الأستاذ المؤلف طويلاً عند نزول الوحي ، وبعثته عليه السلام ، وما لقيه من قوميه فى مكة إلى أن هاجر إلى المدينة وحياته بها . ثم يتحدث عن الغزوات المختلفة حتى يبلغ فتح مكة . ويخلص من هذا كله إلى الكلام عن حجة الوداع وعن وفاته عليه السلام . ونحن إذ نهنيء المؤلف بهذه الرسالة الطيبة نرجو له التوفيق فيما أراد .

محمد يوسف موسى

### ندوتنا والقطر المسلم

ضاق العدد عن بابى « ندوتنا » و « القطر المسلم » الذى تعودنا أن نعرضه فى كل عدد ، فمعدرة ، وإلى الأعداد القادمة إن شاء الله .

التحرير



# مع العارفين

## عون بن عبد الله

( ٢ )

إن سألت عن نسبه فهو عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي . .

وعتبة بن مسعود هذا صحابي جليل ، أسلم قديماً ، وهاجر إلى الحبشة ، وأقام بها دهرأ حتى قدم منها على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جعفر بن أبي طالب . . . وشهد غزوة أحد وما بعدها . . وهو أخو عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه لأبويه - . . قال الزهرى : ما كان عبد الله بن مسعود بأقدم هجرة من أخيه عتبة ، ولكن عتبة مات قبله . . . وقال الطبرانى : لما مات عتبة بن مسعود بكى عليه أخوه عبد الله ؛ فقليل له : أتبكي ؟ . . قال : نعم . . أخى فى النسب ، وصاحبى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحب الناس إلى . . ذلك هو نسب عون بن عبد الله بن عتبة ؛ ولكن الذى يعنيننا من عون رضى الله عنه ، نسب آخر غير هذا النسب ، هو نسبه إلى الإسلام وصلته بالله سبحانه . . أو هو شخصيته الروحية التى لا تمت إلى أنساب اللحم والدم بصلة . . . وقد وضع عون مفتاح تلك الشخصية بين أيدينا إذ قال : إن لكل رجل سيداً من عمله ، وإن سيد عملى ذكر الله عز وجل .

فإذا فسرَت السيادة فى هذه الكلمة بأن أعمال كل رجل تتفاوت فيما بين بعضها وبعض بحسب قيمة كل منها من الفضل والإحسان ، حتى ينتهى التفاوت والتفاضل إلى عمل رفيع منها ، يبدو بين سائر إخوانه كأنه القمة العليا بين ما حولها من القمم - كان معنى هذا أن أحسن أعمال عون وأجلها شرفاً ورفعة هو ذكره لله عز وجل . . وإذا فسرَت تلك السيادة بأن المرء قد يعتاد ألواناً من أعمال البر ، فيألفها . . ويحبها . . ويعمل بوحياها . . حتى تصير أمرة على وجدانه ، مهيمنة على سلوكه . .

وقد تباينت تلك الألوان من حيث الهيمنة بحسب ما لكل منها من تجاوب في النفس ، وملاءمة للطبع ، حتى ينتهي التفاوت إلى استئثار لون منها بأوفر حظ من السيادة والسلطان على هوى صاحبه وإرادته — كان معنى هذا أن ذكر الله سبحانه قام من نفس عون بن عبد الله مقام الأمير أو مقام السيد الأمر الذي يهيمن على كل تصرفه ومشيته فلا يستطيع له خلافا .

وأياً كان المعنى فإن قول عون بن عبد الله : « إن لكل رجل سيداً من عمله ، وإن سيد عملي ذكر الله عز وجل » يدل على صدق تقديره للذكر ، وقوة تمكنه من نفسه ، ودوام ملازمته له في كل حال .

\*\*\*

ومن الذكر ما يكون بتحريك اللسان والشفيتين بأسمائه الحسنى سبحانه . ومنه ما تنبعث إليه خواج النفس كلما رأى الإنسان آية من صنع ربه ، أو شبه نفحة من فواضل كرمه ؛ فكل آية وكل نعمة لها مع نفسه المرفهة حديث يذكرها الله ، كما يذكر الصانع بصنعه ، وكما يذكر صاحب الآثار الجميلة عند رؤية أثر من آثاره . أما الذكر عند عون بن عبد الله فهو حضور نور الله في قلبه على الدوام ، كأنه لازمة من لوازم طبعه ، أو ضرورة أصيلة لا تستغنى عنها النفس . . . فهو يرى الأشياء بهذا النور الحاضر معه ، ولا يرى النور بهذه الأشياء !.. وما أبعد الفرق بين المنزلتين !.. ما أبعد الفرق بين قلب تنبه الأشياء إلى الله ، وقلب دائم التنبه إليه بدون حاجة إلى واسطة ، فهو لا يذكر الصانع بصنعه ، ولا الخالق بخلقه ، ولا يذكره سبحانه بأى سبب طارئ ، لأنه حاضر في ضميره لا يغيب ، مائل في سره لا يتحول ! وإذا قلنا إن عون بن عبد الله كان يرى الأشياء بهذا النور ، فليس مرادنا أنه كان يرى مادتها وأحجامها على النحو الذي نمعده حين يرى الإنسان أشياء كانت خافية عنه ، بل نريد لونا آخر من الرؤية . نريد أن كل شيء مما نراه حولنا مؤلف من مادة ظاهرة ملموسة ، وحقيقة روحية خافية لا سبيل للحس إليها . وسبيل رؤية المادة الظاهرة هو نور العين المادية .

وسبيل رؤية الحقيقة الباطنة هو نور الله في قلوب الذاكرين .

فإذا نظر هذا الذاكر الممتاز إلى شيء ما ، أبصره بنور عينه ونور قلبه ؛ وأبصر مادته الظاهرة وحقيقته الباطنة .. وبدأت له المادة الظاهرة إلى جنب الحقيقة الباطنة كالعدم إلى جنب الوجود .. وكالموت إلى جنب الحياة ..

ونقول كالعدم إلى جنب الوجود ، لأن الذي لا ينظر من الشيء إلا إلى مادته الظاهرة يكون في الحقيقة قد رأى لا شيء ! . أليست الأشياء لا توجد إلا إذا وهب لها الله سراً من أمره . . فهي بدون هذا السر عدم ، وهي به حقيقة ذات وجود ؟! .. فلكل شيء صفحتان : صفحة العدم الذي لا وجود له ، و صفحة الأمر الذي يقوم بسرّه كل شيء . . . فإذا رأى المرء صفحة الحق في أي شيء ، فقد رأى منه كل شيء ، وإذا لم ير إلا صفحته الظاهرة فقد رأى صفحة العدم الذي لا يهب شيئاً !! ونقول تبدو هذه المادة الظاهرة إلى جنب الحقيقة الباطنة كما يبدو الموت إلى جنب الحياة . . . فإذا اقتصر المرء على رؤية الجانب المادي فهو يعيش بين أطلال الموت الكالخ الحرب ، وإذا رأى جانب الحياة ، فكل شيء حوله حتى سعيد .

وإذا عاش الإنسان في عالم الموت بين أطلاله الحرب ، فلسنا نغنى أنه يعيش بين مقابر الموتى ، أو بين أطلال مدينة خربة مهجورة ، بل نغنى أنه يعيش مكتفياً برؤية الناحية الخرساء في الأشياء ، محجوباً عما وراء ذلك من أسرار الحياة . . !

وما قيمة الحياة التي حجب عنها ؟ !

أنها ليست حياة النمو للأعضاء ولا حياة الحركات للأبدان . . . بل حياة من لون لا يخطر على البال ، ولا يستطيع الذهن أن يصل إلى كنه ما هي عليه . . . لأنها من أمر الله الذي استأثر سبحانه بعلمه . .

إنها حياة تحمل في الكائن لا ليتحرك ولا لينمو ، بل ليحل فيه الخير والبركة والرحمة والطهر والجمال والنعيم ، فالجانب الحى فيه هو هذا الجانب الميمون ، والجانب المادى المحض ليس له بذاته شيء من سر هذه الصفات ، فإذا حجب الإنسان بهذا الجانب عما وراءه ، فقد حجب عن الخير ، والبركة ، والرحمة ، والطهر ، والجمال ، والنعيم ؛ ومشى بين شخوص المادة المظلمة في عالم لا خير فيه ولا رحمة ، وماذا بعد الخير والرحمة إلا الشر والجحيم ، وما إلى ذلك من ألوان عذاب الله ؟ !

فإذا كان للذاكر نور في بصيرته انحلت ظلمات ذلك الشر من أمامه ، وأبصر الخير والجمال والرحمة تفيض من كل ما حوله ؛ وفي هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها ، إلا ذكر الله وما والاه ، ومعلم أو متعلم » . هذا النوع الرفيع من الذكر هو الذي كان يضيء في قلب عون بن عبد الله ، وهو الذي كان يبصر به الأشياء فيرى مادتها ويرى حقائقها معا ، وبضوء هذا الذكر يقول : « إذا أتى على الناس ساعة لا يذكرون فيها الله عز وجل هلك من في الأرض جميعاً » . . . والهلاك في هذا المقام ليس هلاك الأبدان ، وانقضاء حياتها على هذه الأرض ، بل هو الهلاك الروحي الذي يحل بالمرء حين يُحجب عن سر ما في الكون من رحمة وبركة ونعيم ، وتنقطع به الشقوة إلى ظلام الآبالسة وجحيم الاكتفاء بلذائذ الحس المادي المحض . . .

وقرأنا في بعض أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ذاكر الله في الغافلين ، كالعود الأخضر في الهشيم ، وتفسره واضح على ما قدمنا . . . والذاكر فوق هذا قد يعود على من حوله من الغافلين بشيء من الخير الذي حجبوا عنه ، ويدفع عنهم بعض ما يزحف عليهم من البلاء والويل ؛ وفي هذا المعنى يقول عون رضي الله عنه : « ذاكر الله في الغافلين ، كالقاتل عن الفارين ، والغافل في الذاكرين كالفار في المقاتلين » . . .

ويصفو طبعه ، ويرق حجابيه ، وتشف الكائنات أمام بصيرته ، حتى يبدو الجمادى حقيقة حية ، تسمع ، وتبصر وتتكلم . . . تسمع ما حولها من خير وشر ؛ وتبصر ما هنالك من حق وباطل ؛ وتردد أثر ما ترى وما تسمع كلاما يسرى في ضمير الوجود دون أن تسمعه أذن أحد من البشر . . . يقول عون في هذا : إن الجبل لينادى الجبل باسمه : يا فلان ، هل مر بك اليوم ذاكر لله عز وجل ؟ فيقول : نعم . . . فيستبشر به . . .

والقرآن الكريم ، وهو جامع الحقائق الدقيقة التي تحيط بنا ، قد قرر للجهد هذا الذي تذكره ويذكره عون بن عبد الله ، في مثل قوله سبحانه : « تكاد السموات يتفطرن منه ، وتنشق الأرض ، وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولدا » فالجبال تكاد تخر هداً من هول ما تسمع من إفك أهل الضلال حين يقولون : اتخذ الرحمن ولدا .

ويعقب عون على كلامه السابق عن الجبال بقوله : إنهن للخير أسمع ، ويتلو قول الله تعالى : « تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض . . . الآية » ويقول : أفيسمعن منا الزور والباطل ولا يسمعن ما هو حق ؟ ! .

فالجل جبار في رأى العين ، ولكنه في رأى البصيرة الكاشفة حقيقة روحية حية ، تحس من أسرار الوجود ما لا تحسه المدارك العادية ، وتتجاوب مع حقائقه الأصلية بما لا يدركه الغافلون . . . . . وحين يسمو المرء في منازل الذكر إلى هذا الأفق العالى يبدو له الكون كله حقائق حية سميدة قائمة بنور الله ، شادية بذكره جل شأنه ، مترنمة بقداسته ، خاشعة لجلاله ، في وحدة نورانية متسقة ، تنتظمها جميعاً في سر قوله سبحانه : « وإن من شيء إلا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حلماً غفورا » .

وهذا كله فضل حضور نور الله في القلب ، وهو من تفسير ما قلناه فيما مضى أن عوناً رضى الله عنه كان يرى الكون بنور الله ، ولا يرى نور الله عن طريق الكون . وإن هذه الرؤية ، هى رؤية الحقيقة الحية والسر الخفى لا رؤية الصفحة الجامدة والمادة المجيء . . . . .

وحين يشرف عون على الكون من أفاقه هذا الرفيع ، لا يرى الكائنات الحسية فحسب ، بل يرى الحسية والمعنوية جميعاً ؛ الروحية والمادية معا ، واستمع إلى حديثه عما يرى من نفحات الله المرسلة في ضمير الوجود وهى سر يحمل السعادة والجمال لكل ذى بصيرة ، غير متعلق بحبل أو مشجب : الخير من الله كثير ، ولكن لا يبصره من الناس إلا اليسير . . . وهو للناس من الله معروض ، ولكن لا يبصره من الناس من لا ينظر إليه ! . ولا يجده من لا يبتغيه ، ولا يستوجبه من لا يعلم به . . . ألم تروا إلى كثرة نجوم السماء فإنه لا يهتدى بها إلا العلماء ؟ !

وليس فى هذا الكلام غلو أو مجاوزة للمعلوم من أسرار الكون ؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن لربكم فى أيام دهركم نفحات .. ألا فتعرضوا لها ... » فكلام عون على هذا إنما هو تعبير عن مشاهدة قلبية رأى فيها بنور الله ذلك السر عين اليقين ، وهو فضل الله سبحانه يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . . .



# العنونة

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

[ في طريقى إلى النور ذرفت هذه الدموع .. ]

رَبِّ إِنْ لَكَ عُذْتُ مِنْ سَرَابٍ فِيهِ تَهْتُ ..  
وَعَلَى وَجْهِ شَظَايَا نَدَمٍ فِيهِ انْتَهَيْتُ  
وَكُفُوفٌ مِنْ خَطَايَا تَحْتَهَا نَارٌ وَصَمْتُ  
وَطُيُورٌ ذَرَفَتْ سِرِّي وَطَارَتْ حَيْثُ طَرْتُ  
وَتَلَاشَتْ فِي زَوَايَا خَلْدِي أَنَّى سَرَيْتُ  
فَإِذَا أَبْكِي أَرَاهَا أَدْمَعًا مِمَّا بَكَيْتُ  
وَإِذَا أَشْكُو أَرَاهَا كُلَّ مَا مِنْهُ اشْتَكَيْتُ  
وَإِذَا أَهْرَبُ كَانَتْ كُلَّ دَرْبٍ قَدْ سَلَكَتُ  
وَإِذَا أَغْفُو أَرَاهَا كُلَّ حُلْمٍ قَدْ رَأَيْتُ  
وَإِذَا أَفْزَعُ لِلْأَوْهَامِ كَانَتْ مَا وَهَيْتُ  
وَإِذَا غَنَيْتُهَا النَّسِيَّانَ غَنَّتْ مَا ذَكَرْتُ  
وَمَحَتْ ذَاتِي وَعَادَتْ لِي بِمَا كُنْتُ دَفَنْتُ  
رَبِّ جَنَّبَنِي صَادَهَا فَهِيَ أَغْدَى مَنْ عَرَفْتُ  
هِيَ نَفْسِي ، وَهِيَ شَيْطَانِي الَّذِي مِنْهُ هَرَبْتُ  
سَكَنْتُ فِي ، وَفِي صَحْرَاهَا الْكُبْرَى سَكَنْتُ  
وَعَلَى مِصْبَاحِهَا الْمَخْنُوقِ فِي السَّفْحِ أَقَمْتُ  
وَكَمَا شَاءَتْ عَلَى الْأَذْغَالِ وَالرَّيْحِ ارْتَمَيْتُ

وكما يَنْطَلِقُ الْإِغْصَارُ فِي اللَّيْلِ انْطَلَقْتُ  
وَتَسَلَّلْتُ الْفِجَاجَ السُّودَ فِيهِ وَمَضَيْتُ  
زَاهِبًا ضَلَّتْ مُسُوحِي فِي هُدَاهَا وَضَلَّتْ  
وَنَحْ عُمرِي... مَا الَّذِي كُنْتُ عَلَى الرَّمْلِ كَتَبْتُ  
قِصَّةَ مَا زَالَ حَوْنِي كُلُّ مَا فِيهَا رَوَيْتُ  
الْأَسَى ، وَالْإِثْمَ ، وَالْمِضْيَانَ ، هَذَا مَا سَمَحْتُ ..  
فَإِذَا التَّوْبَةُ أَلَقْتُ رَحَلَهَا عِنْدِي رَحَلْتُ  
وَإِذَا الْأَوْزَارُ حَطَّتْ حَطَّ قَلْبِي وَاتَّشَيْتُ  
وَإِذَا رَكْبُ الْخَطَايَا لَاحَ لِلْعَيْنِ هَفَوْتُ  
وَكَمَا يَنْتَفِضُ الطَّائِرُ لِلْفَجْرِ انْتَفَضْتُ  
وَدَلَفَقْتُ بِسِرِّي فِي الدَّيَاجِي وَانْسَلَّتْ  
مِثْلًا يَنْسَلُّ مِنِّي خَاطِرٌ مِنْهُ بَرِمْتُ !  
هَذِهِ قِصَّةُ مَبْسُوتٍ قَاتِلٍ بِهِ كُنْتُ عَبْرَتُ  
حَاطِبًا أَجْعُ نَارًا وَأَسَى فِيهَا جَمَعْتُ  
لَيْسَ لِي فَأْسٌ ، وَلَا غَرْسٌ ، وَلَكِنِّي احْتَطَبْتُ ..  
مِنْ رِبْعٍ لَيْسَ لِي فِيهِ سِوَى أَنِّي وَجِدْتُ  
وَرَحِيقَ كُلِّ مَا أَعْلَمُ .. أَنِّي قَدْ شَرِبْتُ  
وَعَبِيرَ كُلِّ مَا أَذْرِيهِ أَنِّي قَدْ شَمَمْتُ  
وَنَمَارَ كُلِّ وَغْيٍ أَنَّنِي مِنْهَا قَطَفْتُ  
وَعَصُونَ ظَلَمًا يَجْهَلُ عَنِّي مَا جَهِلْتُ  
بَعَثْتُ سِرِّي وَعَادْتُ وَهِيَ لِلْإِيمَانِ بَبْتُ  
جَلَّ رَبِّي . . كُلُّ هَذَا مَا الَّذِي كُنْتُ ارْتَكَبْتُ ! ؟  
أَذْنُوبٌ أَمْ دُرُوبٌ فِي مَهَاوِيهَا جُرِفْتُ

أنا كذابٌ ، ولكن كل ما قلتُ صدقتُ !  
نقلتُ نفسيَ عن نفسي الذي كنتُ ادَّعيتُ  
فهو زورٌ ، وهو حقٌّ وهو سرٌّ فيه حرٌّ  
أنا نفسي ذلكَ الإثمُ الذي مِنْهُ هَرَبْتُ  
أنا نفسي ذلكَ الزُّورُ الذي مِنْهُ جَزَعْتُ  
كلُّ ما أشكوهُ منها ذنبه ، مهما بَرَّنتُ !  
عَذَّبْتَنِي بِخَطَايَاها وهَوَاها فاستجرتُ  
وإلى قُدسٍ عَلى من ضفافِ النورِ طرتُ  
بمدا جردتُ ذاتي وعن النفس انفصلتُ  
وإلى الله بنوحي وعذاباتي انجھتُ  
وشيتُ الحسمَ ناراً وهشياً واشتعلتُ  
ربُّ من بُقياً رمادي وحصادي لك جئتُ  
ربُّ غفرانك إني في ظلامي قد وُئدتُ !

### « المسلمون » في الخارج

وكيلها في لبنان : السادة زاملی ومنیمنة

شارع الأمير بشير - درج رجال الاربعين - بيروت

» أندونيسيا : شركة مكتبة سالم بن سعد بن نهبان وأخيه أحمد .

ص . ب : ٥٥ سورابايا - أندونيسيا

» أمريكا : السيد أحمد بدر Ahmad Bader

1961 Wyoming,

Dearbon, Mich., U.S.A.

# في أفق العالم الإسلامي

\* مؤتمر الثقافة الإسلامية بأمریکا

\* فلسطين

\* أندونيسيا

\* باكستان

مؤتمر الثقافة (الإسلامية) في أمريكا :

انعقد المؤتمر الذي دعت إليه جامعة برنستون ومكتبة الكونغرس خلال إجازة « المسلمون » وحضره قرابة من ثلاثين عالماً مسلماً ، قليل منهم يمكن أن يعدوا علماء في الإسلام ، وأكثرهم علماء في فنون مختلفة جمعهم الدعوة التي وجهها الأستاذ الدكتور « دودج » مدير جامعة برنستون ، وحضر مع هذا العدد مثله تقريباً من كبار العلماء الأمريكيين المهتمين بالإسلام وشؤون العالم الإسلامي ومن بينهم عدد من ممثلي شركة البترول الأمريكية ، ورجلان من شركة البترول الإنجليزية ! وقد أتبع لنا أن نحضر جلسات هذا المؤتمر . وقصة حضورنا له قصة طريفة ، من حق أسرة « المسلمون » أن تعرفها ... فإن اهتمامنا بالمؤتمر الأمريكي بدأ من يوم سمعنا عنه ، وأخذنا منذئذ ننتبج نشاط القائمين به ، وحاولنا أن نحصل على مطبوعات تفسر أهدافه وبرنامجه ، حتى إذا كنت في كراشي في زيارتي الأخيرة للباكستان ، دعيت لحضور محاضرة في دار الإذاعة يلقيها الدكتور « فيليب حتى » الأستاذ بجامعة برنستون ، والدكتور فيليب معروف منذ عاش في بيروت بنشر أفكاره في الجامعة الأمريكية ، ومعروف بكتابته في تاريخ العرب ، وقد تحدث ليلتشد عن المؤتمر المزمع عقده بأمریکا ، وقسم الإسلام إلى ثلاثة : دين وثقافة ودولة ، وقال إن المؤتمر معنى بالثقافة وحدها ، ولا شأن له بالدين ولا بالدولة ، وقال عن نفسه إنه المشغول من موضوعات المؤتمر ، وإنه في جولة للاتصال بالأعضاء الذين وجهت إليهم الدعوة وللتفاهم معهم كل في موضوعه . وكان من طريف ما ذكره الدكتور حتى — المشغول عن الكيان الفكري للمؤتمر الأمريكي — في معرض الإجابة عن بعض الأسئلة أن غالبية الجيش الذي هاجم به معاوية الحجاز كان من المسيحيين ، واستدل على ذلك بأن سكرتير معاوية وطبيبه ووزيره كانوا مسيحيين !! وأشار إلى كتاب — لا أذكر اسمه — من مهملات كتب التاريخ ! — زادني ذلك اهتماماً بالمؤتمر وبناتجته المنتظرة ، سيما بعد أن علمت بأسماء بعض الفضلاء الذين وجهت الدعوة إليهم ، فمزمت على أن أتخذ الأهمية اللازمة لحضوره مستمعاً ، لا عضواً ، ولكن المؤتمر إذ علم بهذه الرغبة بادر إلى دعوتي مشكوراً قبيل موعد الانقضاء بأيام ، وكان في مفهوم دعوته أنني سأعامل غير معاملة سائر الأعضاء : أي أن سفرى من مصر وتنقلني في أمريكا على نفقتي الخاصة ، وقد كان ، وذلك طبعي مادام ذهابي بناء على رغبتى الخاصة ، لا رغبتهم ، وكان ذلك حسبي ، ثم تكلمت جامعة برنستون فأضافتني خلال عشرة أيام انعقاد المؤتمر ، وهي ضيافة أشكرها لها وأقدرها قدرها ، والحق أن الأستاذ الدكتور دودج كان لطيفاً دمثاً مضيافاً .

وغاية المؤتمر كما جاء صراحة في رقعة الدعوة : « شهدت السنوات الأخيرة ازدياداً سريعاً في العلاقات المختلفة بين شعوب البلاد الإسلامية والولايات المتحدة الأمريكية . ولقد تغير العالم في السنوات العشر الماضية تغيراً جوهرياً ، بحيث أصبح من الضروري إعادة النظر في الأسس الثقافية لتلك العلاقات ، فليس بالإمكان لأى شعب من الشعوب أن يفهم شعباً آخر دون أن يقف على مقومات حياته الروحية والفكرية بالإضافة إلى المقومات المادية . لهذه الاعتبارات تشعر معاهدنا ومؤسساتنا الأمريكية بأنه مما يساعدها على أعمالها ومما يكون عوناً للعلماء بوجه عام أن تدعى نخبة ممتازة من علماء الإسلام وقادته لتزور الولايات المتحدة وتقدم اجتماعات مع الخبراء الأمريكيين في ميدان الحضارة الإسلامية . ويأمل القائمون على هذا المؤتمر أن يسفر اجتماع هذه الفئات المختارة عن ازدياد ملحوظ بين الأوساط الأمريكية في فهم الثقافة الإسلامية والحركات الفكرية في الإسلام . ومن المنتظر أن تؤدي الرسائل والأبحاث الناجمة عن المؤتمر إلى شق طرق جديدة في البحث والتقيب والتبادل الفكرى ، وبما أن هذا المؤتمر سيهيئ فرصة لم يسبق لها مثيل من حيث الحرية التامة في بحث الثقافة الإسلامية بمعزل عن المياسة ، فإن الفوائد المتوخاة ستكون بلا ريب عظيمة الأهمية » ..

تلك غاية المؤتمر كما أعلنها الداعون إليه ، وهى غاية تفصح عن نفسها إلى حد كبير ؛ وليس من السهل تحديد المدى الذى أدركه المؤتمر بعد جلساته العديدة في تحقيق هذه الغاية ، فإن كثرة الموضوعات التى تناولتها البحوث جعلت من العسير الوصول إلى قرار بذاته فى أى موضوع ، وأظننى لم أر نية واضحة فى جو المؤتمر تستهدف قرارات محددة ، إلا أن يكون الذى استهدفته فعلاً هو فهم الاتجاهات المختلفة فى كل موضوع ، وقد وجدت ولاشك طلبتها فى جلسات كثيرة ، ووجدت فيما وجدت اتجاهها لعلها لم تكن تحسب له حساباً الواجب : أعنى الاتجاه إلى اعتبار الإسلام كلاً لا يتجزأ ، والإيمان به كنظام حياة كامل ، والإصرار على ذلك لإصراراً أجمع عليه كثير من الأعضاء ، وبلغت حماسهم فى مطلع المؤتمر حداً خشى منه على مستقبل المؤتمر كله لولا أن نجح منظموه فى تلطيفها وفى رعاية « مشاعر » أصحابها فى توجيه المناقشات كلها بعد ذلك .

ولا نحب أن نأخذ على المؤتمر كثرة الموضوعات التى تعرض لها ، فذلك شأنه وحده ، وهى على أية حال تجربة أولى ، ولا نحب كذلك أن نأخذ عليه طريقته فى اختيار أعضائه الذين لا يمكن أن يحققوا الصورة التى ذكرت فى رقعة الدعوة : « نخبة ممتازة من علماء الإسلام » وإنما الذى نحب أن نذكره ، ونعتبر ذكره من واجبننا إزاء ما جاء فى هذه الرقعة ذاتها من أن القائمين على المؤتمر يأملون أن يسفر عن « ازدياد ملحوظ بين الأوساط الأمريكية في فهم الثقافة الإسلامية والحركات الفكرية في الإسلام » هو ما يأتى :

أولاً : إن ما ظهر لنا من حصيلة العلم عند كثير من العلماء الأمريكيين عن الإسلام ، يجب أن يعيدوا نظرهم فيه ، فإن مدارسهم من خلافيات علم الكلام والفرق الإسلامية وأعراف المسلمين لا يمثل الإسلام فى ذاته ولم يعد يمثل النهضة الحية الجديدة فى أقطار الإسلام ، ولعل بعضهم أحسن بذلك فى البحوث (١) التى قدمها بعض الأعضاء المسلمين عن جمال أصول الإسلام وبساطتها ، وعن سمة آفاق الشريعة الإسلامية وخصوبتها . كما يجب عليهم أن يعيدوا قراءة التاريخ الإسلامى فى المراجع الإسلامية ، ولا يركنوا إلى مثل كتاب « تاريخ العرب » للدكتور فيليب ، وذلك

(١) قدم رئيس تحرير « المسلمون » للمؤتمر بحثاً ضافياً عن حركة « الإخوان المسلمين » عرض فيه فهمها للإسلام ورد على الشبهات التى تدور فى أذهان الغربيين .



ما يقتضيه الإنصاف العلمي والرغبة الصادقة في فهم الإسلام والمسلمين . وقد ساءنى أن أرى مثل هذا الكتاب مرجعاً رئيسياً لطلاب أقسام دراسات الشرق الأوسط في جامعات أمريكا ، وم الجليل الجديد في صلة الأمريكيين بالعالم الإسلامي . ! . ويكنى أن أذكر لهم هنا ما قاله الدكتور حتى حين سأله عن شيء كتبه عن الحركة الإسلامية . ( وقد ترجمه له الأستاذان إسحاق موسى الحسيني وعلى عبد الواحد وافي في كتاب « الإسلام في نظر الغرب » . وأسمى فيه حركة الوحدة الإسلامية : حركة رجعية تستلهم الأفكار التي ترجع إلى القرون الوسطى ، ثم قال : إن الإخوان المسلمين يمثلون هذه الحركة في أسوأ مظاهرها ) — سأله عما كتبه ، ولم أشأ أن أواجهه بالذي كتبه حتى يكون تفاهماً في جو الطيف . فأدهشني أنه قال : لأنني أسميتها رجعية بمعنى الرجوع إلى الكتاب والسنة بعيدين عن الحرافة !! وقد كان أولى به وهو مع واحد من الإخوان أن يصارحه برأيه توخياً للمعرفة ، لا أن يهرب هذا الهروب الذي يفتنى وروح البحث العلمي الكريم .

ثانياً : إن أكثر السياسيين وغير السياسيين الذين يتصلون بأمريكا عن طريق بعثاتها الدبلوماسية وغير الدبلوماسية لا يمثلون الأمة الإسلامية على حقيقتها ، وذلك يصدق في كل مكان حتى في تركيا ، ولا يفرن العلماء الأمريكيين ما ذهب إليه مندوب تركيا في المؤتمر فإنه لا يمثل في ذلك حقيقة الشعب التركي الذي بدأ رد فعله لحكم عصاة أتاتورك يظهر واضحاً منذ الانتخابات التي أسقطت عصمت إينونو بأغلبية ساحقة حين وعد مناوئوه أن يعيدوا للدين نفوذه في تركيا . ومن الوهم أن يذهب الظن إلى أن السجون والبطش يفلحان مرة ثانية في إيقاف هذا التيار الجديد . ولا يسأل عن خطر رد الفعل العنيف الذي يخشاه السياسيون « العقلاء » إلا أتاتورك « المجنون » ! .

وجدير بالذكر هنا أن أنصار هذا التيار الجديد كثيرون في الجامعات ، ومنهم كثيرون في السجون ، وهي ظاهرة ، إن دلت فإنما تدل على قوة الإسلام الذي يجب أن يفهمه الأمريكيون ، والذي يستحيل عليهم إن لم يفهموه أن يفهموا المسلمين . . . . . أقصد جماهير المسلمين الذين إليهم المال في صناعة التاريخ . . . غداً أو بعد غد ، لا الحفنة من السياسيين الذين قطعهم الحكم الاستعماري في أكثر ديار الإسلام عن دراسة دينهم وتاريخهم ومقومات شعوبهم ، وجعلهم بذلك صنفاً غريباً لا يمثل شرقاً ولا غرباً ، وإنما يمثل الذبذبة الطارئة في حياة المسلمين : الذبذبة التي تعتبر ثمرة الحكم الاستعماري الطويل ، وهي ذبذبة لا بد أن تنتهي ، ولا بد أن ينتهي هؤلاء بنهايتها ، ونهايتها ونهايتهم معها تبدو طلائعها من وراء الغيوم البارقة المرعدة في آفاق العالم الإسلامي جميعه ! ولا يفرن أحداً ببطء هذه الغيوم ، فإن من أمثالنا العربية « القديمة » التي لم تخطيء قط : « أبطأ السحب أملاًها » !!

ثالثاً : إن كل محاولة للتقرب من العالم الإسلامي ، وإن كانت على أسس ثقافية ، يقف دونها في الواقع أخطاء السياسة الأمريكية المتتالية ، ولن يثق المسلمون في مندوبيهم إلى مؤتمرهم أيها العلماء الأمريكيون إلا بمقدار ما يصدق التجاوب بين السياسة الأمريكية وبين ما تبدونه من روح الود والحرص على صداقة المسلمين وهي روح نشكرها ولا شك . أما أن تمضي أمريكا في موكب الطغاة فتجاني مرة فرنسا الفاصبة في خلفها لسلطان مرا كش وتعترف بميلها للفروض ، ثم تدل إسرائيل تارة أخرى وتفرض علينا الإذعان لعدوانها وتظاهرها بمنع إعانتها مظاهرة هي أمعن في التذليل . . . . . وغير ذلك كثير ، فإن ذلك أمر لا يقوم معه ود . . . وإذا كانت أمريكا تجدد في قيام إسرائيل واقعاً يجب قبوله ، وهذه كل حجتها مع العرب ، فإن نفس هذه الحجة تجعل المسلمين يطالبون كل من ينشد



صداقتهم بدليل من الواقع بين يديه ، ولا يغنى في ذلك ما قاله الرئيس أيزنهاور لمندوبي المؤتمر من أن « أمريكا ناشئة ولها أخطاء في عالم السياسة ، ولكن الثقافة تستطيع أن تحقق مالا تحققه السياسة في صلات الناس بعضهم ببعض » إن الذي قاله أيزنهاور حق بشرط واحد : هو أن تستجيب السياسة للثقافة لا أن تستغل الثقافة لحسابها !

وبعد ، فإننا نشكر جامعة برنستون ومكتبة الكونغرس لحفاوتهما بالمندوبين جميعا ، وإنما ذكرنا ما ذكرناه أداء لواجبنا نحو الإسلام والمسلمين ، ونحو المؤتمر الذي حضرناه .

### فلسطين :

علمت الدنيا قصة قرية قبية الفلسطينية ومصرع إخواننا فيها ، وهي واحدة من اعتداءات متصلة تقدم عليها إسرائيل المدللة مستهترة بالعرب والمسلمين جميعاً ، وبهيئة الأمم التي يحتجون لديها ، أما الرأي العام العالمي فهو مضلل لا يعرف لنا حقاً ولا كرامة ، وببذ اليهود أزمة قيادته الحقيقية سواء في السوق الاقتصادية أو عن طريق وكالات الأنباء والسينما والراديو والتلفزيون ومن ظن غير ذلك فقد خدع نفسه . وهذه الضجة المفتعلة بعدحادثة قبية — على بشاعتها التي اعترفت بها الصحف العالمية مثل مجلة « التايم » الأمريكية — تنجاب عن لا شيء ، بل عن دليل جديد على أن قوة العدوان أرجح في ميزان هذا العصر من نصاعة الحق . . . . إن العدوان القوي في عرف ساسة هذا العصر الكبار هو الحق ما دام قائماً وعلى الضعيف المغلوب أن يقبله ويكون معقولاً ، ومعنى فكرة السلام في الشرق الأوسط أن يلقى العرب أهينهم عن دم إخوانهم المهرق ، وأن يصموا آذانهم عن صراخ الأرمال والشكلى والأيتام والمفجوعين كل يوم ، وأن ينسوا قرابة تسعمائة ألف مهاجر فلسطيني أخرجوا من ديارهم بغير حق ، ليفتك بهم الجوع والعري والمرض ولسع البرد والذل المرير ، وأن يتخلوا قبل كل ذلك وبعدة عن كرامتهم كأمة اغتصب جزء من أرضها بالحديد والنار لتقوم فيه دولة متوحشة على أنقاض جثث بريئة ودم عزيز وأعراض منتهكة . ما هذا العبث ؟

وماذا تظن إسرائيل ؟ ألعلمها تنتظر أن يؤدي عدوانها إلى صلح يفرض فرضاً على الأقطار العربية ! وذلك ما رده بن غوريون وسفيراً العدوان الصهيوني في لندن ووشنطن ، وما قاله مندوبها في هيئة الأمم ؟ وشاعت نفعة هذا الصلح المزعوم تلبس للرأي العام العالمي مسوح الرهبان ، وتنسب عدوان إسرائيل إلى التوتر الشديد الذي تسببه خصومة الدول العربية المجاورة ( ! ! ) وعدم رغبتها في إقرار السلام بصلح ينهي النزاع إلى الأبد ! !

ومن عجب أننا وجدنا كثيراً من الساسة الأمريكيين يتحدثون عن هذا الصلح ، يتحدثون منه كما لو كانوا يحسنون كأساً من الخمر ! فلما قلت لهم إن ذلك وهم شديد ، أصابهم دهشة عجبت لها ، وقالوا : ولم ؟ أليس ذلك خيراً من الاعتداءات المتكررة ، ومن الحرب التي إن وقعت فسبتأذى بها العرب واليهود ؟ قلت لهم : لأن مطالبة العرب بالصلح مع إسرائيل كطالبينكم لصاحب منزل طرده لم معتد بأن يصطليح مع اللص لأن الصلح خير من معركة يتأذى منها كلاهما ! قالوا كيف ؟ قلت لهم : إن المشكلة الأولى هي مشكلة تسعمائة ألف مهاجر من حقهم أن يعيشوا ، ومن حقهم أن يعودوا إلى بلادهم التي أخرجوا منها بغير حق ليعيشوا فيها آمنين ! قالوا : نحن نعينهم ونعدهم بما يحتاجون إليه . قلت : إنهم يمانون بؤساً تشيب له رؤوسكم لو تعلمونه ، ثم إن من حقهم الذي لا شك فيه أن يعودوا إلى وطنهم ! قالوا : وهل يقبلون العودة تحت حكم إسرائيل ؟ قلت لهم : لقد قلت لكم إن من حقهم أن يعيشوا آمنين . . . ولا أمن تحت حكم الذين

طردوهم من ديارهم بعد أن قتلوا آباءهم وأبناءهم وإخوانهم ! قالوا : معنى ذلك أن تنتهي إسرائيل ! قلت لهم : هذه نتيجة المنطق الذي يعليه العدل الواضح في قضية فلسطين . قالوا : ولكن إسرائيل قائمة ويجب أن تعيش ! قلت : لأنها قائمة على غير أساس يمكنها به أن تعيش ، فالعدوان لا يمكن أن يثمر وضعاً شرعياً للمعتدى ، ولا يمكن أن يكون معه سلام ؛ ثم إنها على أرض ليست لها ، وبين قوم يرون وجودها خطراً دائماً يهدد أمنهم وكرامتهم ، وفي بقعة من الأرض لا تكفي فنياً — حسب تقرير الخبراء — للعدد الضخم النازح إليها من العالم كله ، فهي بين أمرين : بين أن تضطرها الحاجة لتصرف منتجاتها في أسواق الشرق الأوسط إلى اعتداء على نطاق واسع ، ومعالجة ذلك من مهمتنا نحن وحسبنا في ذلك أن تقف الدول الكبرى على الحياد ؛ وبين أن تظل تعتمد على التسول الذي لا يمكن أن تستمر به دولة في مثل ظروف إسرائيل ! ! قالوا : بقيت فكرة الصلح قلت : إذا استبان لكم وجه العدل في القضية لم يبق ما يسوغ لكم أن تنتظروا من الرب أن يقرروا المعتدى على عدوانه وأن يمكنوه من أن يستمر فيه ، وأصبح من السهل عليكم أن تفهموا لماذا يعتبر الرب مجرد التفكير في الصلح أعظم خيانة ترتكب في تاريخهم الحديث .

وهنا قال أحدهم : معنى ذلك أن الحرب لا مفر منها وهذا شيء مخيف . قلت : ومن المشوول ؟ نحن أم الذين فرضوا علينا الهدنة الأولى وقد كدنا نقتل العدوان في مهده ولم نكون نطلب منكم إذ ذاك إلا أن تقفوا على الحياد بين اللام وماحب البيت الأصيل ؟ !

هكذا أو قريباً منه كان بدور الحديث عن فلسطين مع من اتصل بي من الأمريكيين ، ولكن الواقع أفسى من ذلك بكثير . الواقع أن سلطان اليهود أخذ بخناق أمريكا كل مأخذ فالإقتصاد لهم ، والصحافة والإعلان تحت سلطانهم ، وشركات السينما الكبرى شركاتهم ، وأينشتين وأوبنهايمر رئيس الاكتشافات الذرية منهم — وهكذا . . . وهكذا ، حتى إن مستر جون فوستر دالاس وزير خارجية أمريكا حين اشتدت الحملة المفتلة عليه بسبب مظاهرة قطع الإعانة عن إسرائيل صرح بأن الحقيقة أنه لم يحدث قطع بالفعل لأن المال المخصص للإعانة لم يقسم بعد وإنما هو إجراء سيؤخذ إذا لم توقف إسرائيل في هذه الظروف نشاطها في تنفيذ مشروع المياه ، وقد وعد الطفل المدلل فعاد كل شيء إلى ما كان عليه وسارعت هيئة الأمم إلى الموافقة على اقتراح فرنسي بشكر وتقدير إسرائيل !

\*\*\*

يا سياسة العرب والمسلمين : أحكموا المقاطعة ، ونظفوا أوضاعكم ، وقووا جيوشكم ، وتربصوا ليوم لا مرد له .

### أندونيسيا :

تطورت الحوادث في أندونيسيا تطوراً أهم المسلمين وأقلقهم ، فإن مولد أندونيسيا ، المستقلة بعد باكستان كان أملاً ثانياً في أفق العالم الإسلامي ، واستقرار الأمور فيه أمنية كل مسلم . وليس في وسعنا حتى الآن أن نعلق على ما حدث ، إذ أن أكثر ما لدينا من معلومات جاءنا عن طريق وكالات الأنباء . وكل ما نستطيعه اليوم هو أن نناشد الرئيس سوكارنو كما نناشدناه من قبل أن يكون جريئاً في اتخاذ موقف يمالج حاجة الشعب الروحية إلى أساس لبنائه الجديد والإسلام يكفل هذا الأساس للمسلمين ، وهم غالبية الشعب الساحقة التي بذلت دمها لاستقلال البلاد . فحرام أن نحرم هؤلاء من أعز شيء عليهم في سبيل ما يظن أنه مرضاة لإخواننا غير المسلمين في أندونيسيا . حرام

لأنه ليس من حقنا ، وحرام لأن الإسلام خير حام لحقوق غير المسلمين ، وقد كان خيرا من ذلك أن نطمئن الأقليات على كافة مصالحها وحقوقها ، وأن نجعل الإسلام في يدها درعاً تنقذ به كل ما تحشاه من افتئات عليها ؛ ولو أننا فعلنا هذا لاجتمع الشعب الأندونيسي كله ، ولكانت الأغلبية التماسكة خير ضمان للأقلية المواطنة ، اللهم إلا أن يكون سيئو الظن بالإسلام مصرين على سوء ظنهم ، أو أن يكون الأمر حقداً على الإسلام ، وفي الحالتين لا نظن الدكتور سوكارنو واجدا شيئاً يحترمه أو يعوق طريقه وهو من نعلم قوة نفس وإرادة ، وعلى نخامته أن يذكر أنه اليوم ملك لأندونيسيا كلها لا للحزب الوطني ، وأتينا نفيش في حومة صراع فكري لا بقاء فيه لأمة لارسالة لها ، وليسمح لي أن أذكره كذلك بكلمة فالهالي في أفاثنا الأخير : كما صارت للاستقلال سأسارع لمجد الإسلام ، إن خطوة جريئة منه اليوم قد ترد التوازن إلى حياة أندونيسيا وتحفظها مما تحشاه عليها ، وهذه الفترة من تاريخها هي الفترة التي تحتاج إلى صراع سوكارنو في سبيل مجد الإسلام .

### باكستان :

قرر مجلس الدستور الباكستاني أن تصبح باكستان جمهورية إسلامية ، وقد جاء هذا القرار تعبيراً عن رغبة الشعب الباكستاني الذي لم يفهم سبباً للتقسيم ولا اضحاياه إلا أن تتاح له حياة إسلامية كريئة تنفذ موارثه الخاصة التي هددها الاستعمار الإنجليزي وتعصب الهندوك . وكانت الطليعة الأولى في هذا السبيل قرار مشروع الأهداف الذي أصدره المجلس الدستوري منذ ثلاث سنين ، وقرر فيه أن يصبح القرآن والسنة أساس دستور باكستان الجديد ، وتعلقت منذئذ آمال المسلمين في كل مكان بالدولة الناشئة ، وأصبح اسمها على كل لسان ، وظلوا يتربصون آثار هذا القرار العظيم ، ويستقبلون كل جديد من أخبار باكستان بأذان متفتحة وقلوب خافقة ، وهم هؤلاء يرحبون بالقرار الجديد بعد طول انتظار ، ويدعون الله أن يلهم القائمين على أمر باكستان الخير ، ويجمع شمل أمتها العزيزة ، ويحقق فيها آمال المسلمين .

أما خروج الأعضاء الهندوك من المجلس بسبب هذا القرار ، فهو أمر لا نجد له تفسيراً كريماً يحقق مصلحة الأقلية الهندوكية في باكستان ، فإنها اختارت الإقامة في باكستان وهي تعلم أنها دولة إسلامية ، وأن الإسلام يحمي حقوق الأقليات حماية كاملة ، وقد نص قرار الأهداف على ذلك صراحة ، فامعنى هذه الثورة المفاجئة في المجلس ؟ ومامعنى أن يخرج واحد منهم ليصرح بتصريحاً مضللاً عما أسماه دولة تيوقراطية في باكستان ، وهو يعلم تماماً ، وسمع صهرا ، من الساسة الذين أنشأوا باكستان أن الحكومة ( التيوقراطية ) بالمعنى الذي يفهمه الغرب من هذا الاسم لا يعرفها الإسلام ؛ إذ ليس في الإسلام قدسبون يحتكرون الأوامر الإلهية والحكم باسم الله ، وإنما تحكم الأمة بقواعد الإسلام حكماً يباشره ممثلون للشعب تمثيلاً صحيحاً تراعى فيه الكفاية اللازمة لذلك كما ترعى لإرادة الشعب في اختيار من يمثلونه .

وبعد ، فقد بقي أمران : أولهما : أن تحدد باكستان علاقتها ( بالسكومنولث ) تحديداً يحقق مصالحها وثقة العالمين بها . وثانيهما : أن يكتب الدستور كله وتصدر القوانين بعد ذلك في ضوء قرار الأهداف الأول ، ودون ذلك عقبات نعلمها ولكننا واثقون من أن رجال الباكستان سيخضعون في الهدف الكبير الذي أمامهم وفي مشاعر الأمة المشوبة حباً للإسلام وحرصاً عليه أكبر عون على كل العقبات التي تعترض طريقهم .

نفتتح هذا الباب باللغة الإنجليزية استجابة لرغبة كثير من إخواننا المسلمين في أقطار لا تتكلم العربية ، وتقديراً لحرصهم على الاتصال بمجلة «المسلمون» ، حتى إن منهم من اشترك اعتزازاً بهذه الصلة فقط ، ونحن نعدّهم أن تكون هذه الصفحات القليلة محاولة لتهيئة أسباب إصدار «المسلمون» باللغة الإنجليزية ، وبغيرها إن تيسر ذلك . والله المستعان .

ولعل هذه الصفحات كذلك تعين شبابنا الدعاة على ممارسة الدعوة بهذه اللغة ، سواء منهم المقيمون في ديار العروبة مع من يلتقون به من المتحدثين بها ، أو المقيمون في خارجها حيث لا بد لهم من تبليغ دعوة الله بها .

ولا يفوتنا في تقديم هذا الباب أن نؤكد الحاجة إلى نشر اللغة العربية في أقطار الإسلام فإن ذلك أعون على الاتصال بلغة الوحي ونبيه دون حجاب ، وعلى اتصال المسلمين بعضهم ببعض دون ترجمان . . . وما أكثر ما تظلم الترجمة ويتمتع الترجمان .

If one were to observe closely the state of humanity one would only find restlessness, amazement and uneasiness, whether it be in countries which follow a heavenly religion or a religion of their own. The world has lost faith in everything and lives in a state of turmoil and anxiety because there is no belief or aim to shelter it.

Since the sixteenth century, Europe and America have left behind all their old beliefs in divinity and have turned to science and knowledge, and we see this newly erected god reach the summit of his strength in the eighteenth and nineteenth century, and men in their despair doubt that this god of science was as solid and as true as they had hoped him to be.

But in the twentieth century we see the throne of this god begin to sway because of his everchanging state, for science has no everlasting theory and it often destroys today what was thought to be permanent yesterday.

Thus we see that this new power is surrounded by a hazy mist of unbelief and suspicion because of its destructive nature. We see it claim that all that has no element cannot be considered a reality, but after the destruction of the atom we feel it shrink away under the perplexed look of misbelieving eyes. Thus humanity has grown to lose faith in this new god who lacks an aim and faith in himself.

*(to be continued).*

**“Wishest thou to appreach God ?  
Live purley, and act righteously”.**

*Jalaluddin Rumi.*



# HUMANITY NEEDS US

By Sayed Kutb

*Translated by Midhat Hafez \**

Islam has grown to be as much a necessity to all humanity as it is to the Islamic world.

Truly, the Islamic world which occupies the large stretch of land between the shores of the Atlantic to the shores of the Indies and the Pacific, besides its spreading into the heart of Europe, Africa and Asia; is in need of applying the rules of Islam; for without Islam it can never hope to acquire a real existence. But this does not include the greater need of humanity for the wisdom and beauty of Islam. Whether humanity is aware of that fact or not does not change things, for the need of the patient for medicine and medical treatment does not depend on his being aware of that fact. We often see the patient refuse medicine, shrink away from the doctor, and even go so far as to claim to be fit and healthy when what he needs most is medicine and the doctor's treatment.

G. N. Denison in his book, "Emotions as the Basis of Civilization" describes well the period before the coming of the holy Prophet when he says, "In the fifth and sixth centuries, the civilized world stood on the verge of chaos. The old emotional cultures that had made civilization possible, since they had given to man sense of unity and reverence to their rulers, had broken down and nothing had been found adequate to their place.

"It seemed that the great civilization which it had taken four thousand years to construct was on the verge of disintegration, and that mankind was likely to return to that condition of barbarism where every tribe and sect was against the net, and law and order was unknown . . . The old tribal sanctions had lost their power. The new sanctions created by Christianity were working division and destruction instead of unity and order . . . Civilization like a gigantic tree whose foliage had over reached the world . . . stood tottering . . . rotted to the core . . . Was there any emotional culture that could be brought in to gather mankind once more into unity and save civilization? "

Then speaking of Arabia, the learned author says:

"It was among these people that the man was born who was to unite the whole known world of the east and south. Humanity today is in no better plight though the causes may differ."

---

\* See "Al- Muslimoon", Vol. 2, No. 10, P. 975 : « حاجة البشرية إلينا ».



«أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ»

“Has not the time arrived for the believers that their hearts in all humility should engage in the remembrance of God and of the Trust which has been revealed on them and that they should not become like those to whom was given Revelation aforetime, but long ages passed over them and their hearts grew hard?”

**(4) Believer:** He is the happiest on the earth. While others had been captivated by the outward brilliance of the material aspect of life ... this fourth refused to be a mudslave. He sincerely submitted himself to the whispering reality in his spirit and exerted himself to the utmost to be pure enough to taste it and to submerge his whole being in the divine spark within him. He suffered much but he could at last succeed. He is now a heart beating with sweet Divine qualities and attached truly to his Lord. It is for him and for him alone that God hath said:

«وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُور»

“Whoever submits his wholself to God and is doer of good, he has grasped indeed the most trustworthy handhold; and with God rests the End and decision of all affairs”.

### Who Are You ?

It is now up to you, my dear, to choose for yourself... You know your ownself more than any one else. Can you find out “Who are you from among these four types?” and “Whom do you prefer from among them?” It is for you to think and decide.

«وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»

“For each is a goal to which God turns him. Then, strive together (as in race) towards all that is good. Wheresoever you are, God will bring you together, for God hath power over all things.”

*(to be continued).*

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## محتويات هذا العدد

### صفحة

١	بين يدي العام الجديد
٥	هذا القرآن ... لفضيلة الأستاذ حسن الهضبي
٩	الجامعة الإسلامية ... لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة
١٥	نظام رباني ... للأستاذ سيد قطب
٢٤	رسالة من محمد أسد « ليوبولد فايس »
٢٦	يا بنتي ! ... للأستاذ علي الطنطاوي
٣٣	الوقت هو الحياة ... للإمام الشهيد حسن البنا
٣٥	من فقه القرآن والسنة ... للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى
٤٠	الحقوق الشخصية الشرعية وقانون العقوبات ... للأستاذ عبد القادر عودة
٤٧	الإسلام والعلاقات الدولية ... للأستاذ مصطفى الحفاوي
٥٣	خاطرة : يوم على هذا المنوال
٥٤	الشرق الأوسط الإسلامي في دور انتقال ... للأستاذ الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس
٦١	مولد النور « قصة تمثيلية » ... للأستاذ علي أحمد باكثير
٧٢	حول السياسات الاقتصادية ... للأستاذ عيسى عبيد إبراهيم
٧٨	الغزالي مفكر جامع ... للأستاذ الدكتور رضا زاده شفق
٨١	إن ليدنك عليك حقاً ... للأمير الای الدكتور أحمد الناقه
٨٥	باب الكتب : نقد وتمرير
٨٩	مع العارفين : عون بن عبد الله
٩٤	العودة « شعر » ... للأستاذ محمود حسن إسماعيل
٩٧	في أفق العالم الإسلامي

What Are You ? . . . . . By the Editor . . . . . 1

Humanity Needs us . . . . . By Sayed Kutb . . . . . 3

١٠٨ . . . . . الفهرس

# WHAT ARE YOU?

*By the Editor*

— 1 —

## Different Kinds of men

Men in this vast world are divisible into four types:

(1) **Infidel:** Limited to his ownself, feeding upon his own desires, incapable of looking beyond himself to witness the richer glory of the cosmos and its Creator, he has denied himself the joy of taking high ideals and divine qualities, and thinks of nothing but of eating, drinking and enjoying whatever he can. Of him the Quran says:

«وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْإِنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ»

"Those who reject God, will enjoy this world and eat as cattle eat, and the fire will be their abode."

(2) **Deviating:** Just because once he was born in a Muslim family the title of a Muslim continues to be attached to him, but it is only the label and the name that connect him with Islam. He transgresses all limits, falls a prey to his lust and degenerates himself to lowly wickedness. It is about such a man that the Almighty declares:

«اسْتَحْذَرُوا عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ»

"The Evil one has got the better of them, so he has made them lose the remembrance of God. They are the party of the Evil one. Truly, it is the party of the Evil one which shall be the loser."

(3) **Superficial Muslim:** This third, is, no doubt, nearer to the truth, but still he is underage. You can find him saying his prayers regularly, reciting Quran loudly and defending Islam fanatically. But when you try his depths you will find in all these religious performances that his heart is absent, his spirit is languid and his motions are only mechanical. For such as him was the warning revealed by God: